منهج المقريزي في كتاب:

(دُرَر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة)

دراسة تحليلية نقدية

الدكتور: عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

دار العلوم - جامعة القاهرة

تقديم:

من العسير تعريف المُعَرَّف، ومن التكرار المعيب غير المفيد النقل المستفيض لما سَطَّرَتْه أقلام المؤرخين القدامى(١)، والباحثين المعاصرين(٢) عن حياة عَلَم فَذّ كالمقريزي، لاسيما أنه رجل يُشار إليه بالبنان، ويُمثِّل واسطة العِقْد بين أعلام المؤرخين المسلمين على وجه العموم، ومؤرخي مصر الإسلامية على وجه الخصوص. ويُضاف إلى ما تقدم أن الترجمة المفصّلة العميقة للمقريزي ليست داخلة في صُلْب هذا البحث، الذي يُعْنَى - في المقام الأول - برصد منهج كتاب: (درر العقود)، ودراسته دراسة تحليلية نقدية.

إزاء ما تقدم رأيتُ الاكتفاء بتعريف مقتضب سريع بالمقريزي، يقوم على الانتقاء في ذكر المعلومات الأساسية المهمة، التي تعد علامات بارزة في مراحل حياته المختلفة

---

(١) يمكن مراجعة ترجمة المقريزي في: إنباء الغمر بأبناء العمر لابن حجر العسقلاني (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٨م، بتحقيق وتعليق: أ.د. حسن حبشي) ج٤ ص١٨٧- ١٨٨، والمنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي (ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م، بتحقيق: أ.د. محمد محمد أمين) ج١ ص ٤١٥-٤٢٠، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي (نشر: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة) ج٢ ص٢١-٢٥، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكاني (ط١ - دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٨م) جـ١ ص ٥٦-٥٧.

(٢) راجع: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري (م. لجنة التأليف والترجمة ١٩٣٧م) للدكتور محمد زيادة ص ٦-١٧، ومؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري (ط١ - م. لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٦م) لمحمد عبد الله عنان ص ٨٥-١٠٤، والتاريخ العربي والمؤرخون (ط١ - دار العلم للملايين ببيروت ١٩٩٠م) للدكتور شاكر مصطفى جـ٣ ص ١٤٠-١٥١.

بما يكشف لنا عن نشأته وثقافته ووظائفه التي شغلها، ومؤلفاته التي جادت بها قريحته؛ لتكون خير مدخل يعيننا على الوفاء بدراسة الموضوع الأصلي للبحث المذكور.

ولد أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي - على الراجح - سنة ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م بالقاهرة[١]. وقد نشأ في أسرة طيبة ذات مكانة علمية اجتماعية راقية، حيث كان جده لأبيه من كبار المحدثين[٢]، ووالده (عليّ) يوصف بالعفاف والتديُّن، وولي بمصر بعض الوظائف المتعلقة بالقضاء، وعمل بديوان الإنشاء كاتبًا[٣]. أما جده لأمه (محمد عبد الرحمن)، فاستقر في إفتاء دار العدل، ثم أضيف إليه قضاء العسكر[٤].

حفظ المقريزي القرآن في صغره، وسمع الحديث من جده لأمه، وطاف على مجالس العلماء، وجالس الأئمة الكبار، وتلقى عليهم العلم، وتفقه في المذهب الحنفي، ثم تحول إلى المذهب الشافعي مع ميل إلى المذهب الظاهري وإمامه ابن حزم[٥]. هذا، وقد برع المقريزي في علوم عديدة، منها: الحديث النبوي الشريف، والأدب (شعره، ونثره)، والفلك، والتاريخ[٦].

ولي المقريزي العديد من المناصب، فعمل كاتبًا بديوان الإنشاء، وقاضيًا شافعيًا، وإمامًا لجامع الحاكم، ومدرسًا للحديث النبوي بالمدرسة المؤيدية. وكانت له صلة وثيقة بسلطان المماليك الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ/ ١٣٨٢-١٣٩٩م)، فجعله في وظيفة المحتسب بالقاهرة والوجه البحري[٧].

---

(١) الضوء اللامع ٢ / ٢١ .

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي (نشر: أ.د. محمد مصطفى زيادة) الجزء الثاني، القسم الثاني (أحداث سنة ٧٣٣هـ) ص٣٦٥، والضوء اللامع ٢/ ٢١ .

(٣) درر العقود الفريدة للمقريزي (ط١ - دار الغرب الإسلامي ببيروت، بتحقيق: د. محمود الجليلي) جـ٢ ص٥١٧ (ترجمة رقم ٨٢٧)، والضوء اللامع ٢/ ٢١ .

(٤) إنباء الغمر ١ / ٩٥ (وفيات سنة ٧٧٦هـ)، ودرر العقود الفريدة ٣/ ٢٥٦ (ترجمة رقم١١٥٧).

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي (ط١ - دار الكتب العلمية ببيروت ١٩٩٢م) جـ١٥ ص٢٢٦، وحوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لابن تغري بردي (ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٠م، بتحقيق: فهيم محمد شلتوت) جـ١ ص٤٠-٤١ .

(٦) المنهل الصافي ١/ ٤١٥-٤١٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٢-٢٤ .

(٧) المنهل الصافي ١/ ٤١٦-٤١٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٢، والمؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي للدكتور زيادة ص ٨ .

آثر المقريزي تـرك الوظائف، وتفرغ للتدريـس والتأليف في بيتـه بالقاهرة فـترة بلغت حوالي ثلاثين عامًا[1] حتى وفاته سنة (٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)[2] . ولما كان إنتاج المقريزي الـعلمي غزيرًا مـتنوعًا[3]، فإني سـأكتـفي بالإشارة إلى بعض من مـؤلفاته التاريخية المهمة، وذلك على النحو الآتي:

١- المواعظ والاعتبـار بذكر الخِطَط والآثار: وهو مؤلَّف حافل يُعْنَى بتـاريخ مصر القاهرة ومجـتمعاتهـا في العصور الإسلاميـة المختلفة مع ذكر خطط القـاهرة القديمة، وتطوراتها الجغرافية، وشوارعها، وأسواقها، وأحيائها، ومساجدها، ومدارسها، وغير ذلك من آثارها. وفيه أرّخ -باختصار- لتاريخ مصر الإسلامية حتى عصره[4] .

٢- عِقْد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط: وفيه يفصّل تاريخ مصر من الفتح الإسلامي حتى نهاية العصر الإخشيدي[5] (٢٠-٣٥٨هـ/ ٦٤١-٩٦٩م).

٣- اتعاظ الحنفـا بأخبار الأئمة الفـاطميين الخُلَفَا: وفيـه يؤرخ للفترة التاريـخية التالية (حكم الفاطميين لمصر حتى سقوط دولتهم) سنة (٥٦٧هـ/ ١١٧١م).

٤- السلوك لمعـرفـة دول الملوك: وفـيه تنـاول تاريخ الأيوبيين (٥٦٧-٦٤٨هـ/ ١١٧١-١٢٥٠م)، والمماليك حتى سنة (٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م).

٥- المقفى الكبـير: وفيه يترجم لأهل مـصر والواردين إليها من جـميع الأقطار (حافل بتراجم الملوك والأمراء، والعلماء، وغيرهم).

٦- درر العقـود الفريدة في تراجم الأعيان المفـيدة: **وهو كتاب حـافل بتراجم المعاصرين له، وهو موضوع هذا البحث.**

---

(١) المنهل الصافي ١/ ٤١٧، والضوء اللامع ٢/ ٢٢، ومؤرخو مصر الإسلامية لعنان ص ٨٨ .

(٢) المنهل الصـافي ١/ ٤٢٠، والضوء الـلامع ٢/ ٢٥ . ذكر السـيوطي تـاريخ وفاة المقـريزي خطأ (٨٤٠هـ). (حسن المحاضرة، ط١ - دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٧م) جـ١ ص٥٥٧ .

(٣) راجع مؤلفـاته في: المهل الصافي جـ١ ص ٤١٨-٤١٩، ومعجم المؤلفين (ط١ - مـؤسسة الرسالة بـبيروت ١٩٩٣م) لعمر رضا كـحالة جـ١ ص٢٠٤-٢٠٥، والتاريخ العربي والمؤرخون للدكتـور شاكر مصطفى جـ٣ ص١٤١-١٥١ .

(٤) مؤرخو مصر الإسلامية، لعنان ص٩٠ -٩٧ .

(٥) ليس دقـيقًـا - إذن - مـا ذكره أ.د. زيادة أن هذا الكتـاب هو تاريخ لمصـر الإسلامـيـة في عهـد الولاة. (المؤرخون المصريون في القرن الخامس عشر الميلادي) ص ١٢ .

(دراسة كتاب درر العقود)(*)

أولاً: حول عنوان الكتاب، ومحتواه:

حدّد المقريزي عنوان كتابه في (مقدمتـه)، وبيَّن لنا مفهومه - بنص كلامه- على النحو الآتي:

١- «وهو - في الحقيـقة - ذكرى معاهد الأحـباب، وتذكُّر عهد المشـيخة والأصحاب»(١).

٢- «ثم إني رأيتُ بعد ذلـك أن أجمع أخبـار من أدركتُه، سـواء غاب عني أو رأيته، من أهل مـصري كان، أو غـيرها من البلدان، فأُقـيّد أخبـار الملوك والأمراء،

(*) ظهرت أولى طبعات هذا الكتاب بعنوان: (المقريزي وكتابه: درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة)، عن (عالم الكتب - بيروت١٩٩٢م)، دراسة وتحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين. احتوى المجلد الأول من هذه الطبعة على دراسة للمحقق، شملت حياة المقريزي (ص١٣-٣٣)، ومؤلفاته (ص٣٤-٣٧)، وتعريفًا بالكتاب ودراسة له (ص٣٨-٧٩). وبعـد ذلك بيَّن منهجه في التحـقيق (ص٨٣-٨٤). وأتى النص المحقق عبارة عن ديباجة (مقدمة) الكتاب، ونماذج مـختارة من تراجمه؛ نظرًا لعدم عثور المحقق على نص المخطوطة كاملاً. ومن هنا عرض في هذا المجلد تراجم (١٢١) شخصية فقط، تبدأ كلها بحرف الهمزة (إبراهيم - أبو بكر- أحمد)، وذلك من (ص٩٣-٢٨٠). وفي نهاية هذا المجلد أورد عددًا من الفهارس الفنية المختلفة.

وفي المجلد الثاني والأخير واصل المحقق مختاراته من التراجم الداخلة تحت حرف الهمزة (من رقم ١٢٢-٣٠٠)، وهي تمتد من (ص٢٨١-٥٢١). وفي النهاية ذكر مصادر ومراجع التحقيق، والفهارس الفنية الخاصة بهذا المجلد.

وفي سنة ٢٠٠٢م نشرت دار الغرب الإسلامي ببيروت طبعة جديدة كاملة لهذا الكتاب- وهي التي أعتمد عليها اعتمادًا أساسيًا في هذا البحث- بعد أن حقق المخطوطة كاملة، وعلَّق عليها: د. محمود الجليلي. وقد صدرت هذه الطبعة في أربعة مجلدات؛ اشتمل المجلد الأول على مقدمة ودراسة للمحقق (ص٥-٥١)، وبعدها ورد من نص الكتاب مـقدمته، وتراجم (حرف الهمزة إلـى نهاية حرف الجيم) ص ٦١-٥٩٠ (٣٨٧ ترجمة).

ويمتـد المجلد الثاني من تراجم (حـرف الحـاء إلى نهاية حـرف الغين) ص٥ - ٥٦٨ (من ترجمـة ٣٨٨-٨٨٨). ويشمل المجلد الثالث تـراجم (حرف الفاء إلى نهاية حرف اليـاء) ص٥- ٥٨٦ (من ترجمة ٨٨٩ - ١٤٧٣). أما المجلد الرابع والأخير، فـقد درس فيه المحقق أصول الحكم والمجتـمع في فترة تراجم الكتاب، وأورد عددًا من الملاحق المهمة، ومجموعة من الفهارس الفنية المفصّلة.

(١) المصدر السابق (تحقيق: د. مـحمد كمال الدين) جـ١ ص٩٣ . وحرفت كلمة (المشيـخة) إلى (الشيخة) في (طبعة د. محمود الجليلي) جـ١ ص٦١ .

وأعيان الكتّاب، والوزراء، وأذكر رواة الحديث والفقهاء، وحملة سائر العلوم والشعراء، ومن له ذكر شهير، أو قَدْر نبيه خطير، إما من رجال الدنيا، أو طلاب الأخرى من ابتداء سنة ستين وسبعمائة»[1] .

ويتضح لنا مما سبق: أن الرجل سجل في كتابه هذا ما حضره من أنباء مَنْ فقدهم من الأصدقاء والأقارب؛ ليعزِّي نفسه بذلك، بعد أن اشتد حزنه لفقدهم، واسودّتْ دنياه من بعدهم. ثم رأى أن يضيف إلى ذلك مزيدًا من التراجم، فلا يقتصر على من سبق ذكرهم من أهل بلده (مصر)، وإنما ترجم لمن أدركهم (عاصرهم)، سواء رآهم أم لم يرهم من مصر وسائر البلدان الأخرى، مراعيًا انطباق مصطلح (الأعيان) عليهم ممن يدخلون تحت الأصناف السالف ذكرها، علاوة على آخرين لا ينضمون إليهم، شريطة تمتعهم بالشهرة، أو المكانة العظيمة المتميزة في المجتمع في مجال الدنيا أو الآخرة[2] . وأخيرًا، حدد الإطار الزمني لتراجمه في هذا الكتاب (ابتداء ممن كان حيًّا سنة ٧٦٠هـ)[3] .

---

(١) درر العقود (تحقيق: د. محمود الجليلي) جـ١ ص٦٢ .

(٢) وضع ابن خلّكان (٦٠٨-٦٨١هـ/ ١٢١١-١٢٨٢م) كتابًا سمَّاه: (وفيات الأعيان، طبعة: دار صادر ببيروت ١٩٦٨م. تحقيق: د. إحسان عباس)، حدد في مقدمته مفهوم (الأعيان) لديه، فقال في جـ١ ص٢٠: «ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة، مثل: العلماء، أو الملوك، أو الأمراء، أو الوزراء، أو الشعراء، بل كل من له شهرة بين الناس، ويقع السؤال عنه، ذكرتُه، وأتيتُ من أحواله بما وقفتُ عليه». ومن الواضح تشابه مقصود (الأعيان) عند كليهما، وإن كان الإطار الزمني للتراجم عند المقريزي محددًا، بينما تركه ابن خلكان مطلقًا غير مقيَّد .

(٣) وقد علل ذلك د. محمود الجليلي في (مقدمة تحقيقه لكتاب الدرر) ص ٥-٦، فقال: اختار المؤلف هذه السنة (٧٦٠هـ)؛ لأنه ولد بعدها بقليل. وأضاف أن الكتاب - من الوجهة العملية - يتناول فترة تسبق هذا التاريخ، كما أنه يمتد لما بعد وفاة المؤلف، وافترض أنها فترة تصل إلى مائة وثلاثين عامًا (٧٣٠-٨٦٠هـ) على أساس أن من توفى بعد سنة ٧٦٠هـ كان موجودًا قبلها بعشرات السنين (بثلاثين سنة هي سنوات النشاط الحيوي)، وأن من ترجم له وهو ابن الثلاثين يستمر بعد وفاة المؤلف عشرين سنة؛ لأن الأعمار خمسون سنة تقريبًا. والحق أن د. الجليلي تعسف وتكلف فيما حدد من إطار زمني لتراجم وأحداث الكتاب، لاسيما أنه افترض افتراضات ينقصها الدقة والانضباط، ولم يراع ارتداد المقريزي لبدايات بعض الدول التي يترجم لأحد حكامها، فيعود إلي ما وراء سنة ٧٦٠هـ سنوات طوالاً، كما سنرى فيما بعد. أما نهاية المدى الزمني للكتاب، فلم يُشر إليه المقريزي؛ لأنه لن يتعدى تاريخ وفاته (سنة ٨٤٥هـ) إن لم يسبقها، وذلك هو الأمر المنطقي المتبادر إلى الذهن؛ إذ كيف يترجم لشخص ولد بعد وفاته؟ وكيف يؤرخ لأحداث وقعت بعد مماته؟!.

إذا كان المقريزي اختص كتابه بـ (تراجم الأعيان)[1]، فمن الطبيعي أن نجده خاليًا من تراجم الحِرْفيين، وأصحاب الصناعات، والفلاحين[2]. وباستعراض تراجم الكتاب كاملة، ألفيتُ تولي المناصب، وتحقيق الثراء المادي على رأس المقاييس التي اعتمدها المقريزي للحكم على الشخصية المترجم لها بأنها من (الأعيان)[3].

ثمة مواضع أربعة انتقيتها، يمكن أن تؤخذ على المقريزي؛ لعدم أهلية المترجمين فيها للدخول تحت مصطلح (الأعيان). وهاكم هذه المواضع:

أ- طلحة بن عبد الله البِجائي المغربي: وهو رجل مجذوف، كان أكثر أوقاته فاقد الإحساس، يبطش - أحيانًا- ببعض مَنْ بين يديه[4]. صحيح أن هذا الرجل - نزيل مصر- اشتهر ذكره بين الناس، لكن لا يجوز الاكتفاء بشهرة كاذبة لشخصية غير سويّة كهذه، حتى يُدْفَع بها في مصافّ (الأعيان).

ب- علي بن أحمد (ابن العطار الدمياطي): ترجم له المقريزي رغم أنه عاميّ يبيع علف الدواب، لقد لقيه المقريزي عَرَضًا بدمياط، ووصفه بأنه شيخ مُسِنّ[5]. ولا يجوز- في رأيي- أن يكون من الأعيان لمجرد أنه أنشد المقريزي عدة أبيات، أحس منها المقريزي أنه مطبوع (موهوب)، خاصة أنها أقرب إلى الزجل منها إلى الشعر الفصيح.

جـ- محمد بن أبي بكر بن إبراهيم الحنبلي: كان يعاني صنعة (القَبّان)،

---

(١) أعيان القوم: أشرافهم، وكبراؤهم، وأفاضلهم. والأعيان: جمع عَيْن، وهي مأخوذة من لفظة (العين) الحاسة المعروفة ذات المكانة المهمة في حواس الإنسان؛ نظرًا لشرفها وأهميتها. (لسان العرب، لابن منظور، طبعة: دار المعارف بالقاهرة)، مادة: (ع. ي. ن) جـ٤ ص٣١٩٧ .

(٢) مقدمة د. الجليلي لكتاب (الدرر) جـ١ ص٦ .

(٣) من أمثلة ذلك: ترجمة (أبي بكر علي بن حِجَّة الحَمَوي) الذي قال عنه المقريزي: نوّه كاتب السر بذكره، تولى الإنشاء بالديوان، وذاع صيته، وباشر عدة وظائف، فأثْرى، وصار يُعَدّ من (الأعيان). (المصدر السابق، تحقيق: د. الجليلي) جـ١ ص١٥٢ - ١٥٤ (رقم ٨٩). وكذلك ترجمة (أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشهرزوري) الذي اتصل بالقاضي كمال الدين محمد بن البارزي كاتب السر، فرقّاه، ونوّه به، حتى عُدّ من (الأعيان)، وكثر ماله. (السابق ١/ ٢٥٩، رقم ١٦٦).

(٤) السابق ٢/ ٢٠٠ (رقم ٥٣٣).

(٥) السابق ٢/ ٥١٨-٥١٩ (رقم ٨٢٩).

واشتهر بتعبير الرؤى، وأكثر من قول الشعر قبل موته بقليل، حتى تداول الناس قصائده في متنزهاتهم ونحوها مدة[1] . والظاهر أن تفسيره البديع للرؤى، إلى جانب انتشار شعره مؤخرًا جلب له شهرة ومكانة بين الناس، فعدّه المقريزي- على سبيل التجوز- من الأعيان.

د- محمد بن أبي بكر بن محمد السُّعودي (خادم المقريزي): رجل فقير خدم المقريزي سنين، ثم غضب عليه مؤرخنا لأمر ما، ففزع منه، ومضى لحال سبيله، ولم يعثر له على أثر[2] . من الواضح أن الرجل لا ينضوي تحت (الأعيان)، لكن المقريزي- محبة منه له، وشعورًا بالذنب تجاهه- جامله، وجعل إنشاده الشعر، وإلمامه ببعض الخبرات والأمور المجرَّبة مسوغات للترجمة له، والاعتداد به.

محتوى كتاب (درر العقود):

المقدمة:

خلافًا لكتاب (المقفى)[3] الذي خلا من المقدمة، حرص المقريزي في كتابه الذين بين أيدينا على وضع مقدمة منهجية احتوت على ما يلي[4]:

أ- حمد وثناء جزيل على الله (عز وجل)، وبيان لنعمه وآلائه على عباده، حيث استعمرهم في الأرض جيلاً بعد جيل؛ ليكون في قصص السابقين عبرة وموعظة للاحقين.

---

(١) درر العقود ٣/ ١٣٢-١٣٣ (رقم ١٠٢١). لُقِّب المترجم بـ (القَبّاني) نسبة إلى (القبّان)، وهو الميزان ذو الذراع الطويلة المقسمة أقسامًا، ينقل عليها جسم ثقيل يسمى الرمانة؛ ليتعين وزن ما يوزن. (المعجم الوسيط، طبعة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) مادة: (ق. ب. ن) جـ٢ ص ٧٤٠ . فكأن المترجم له كان يقوم بصناعة هذا النوع من الموازين، والأقرب أنه كان يعمل وزّانًا للأشياء؛ لأن القباني هو الوزّان.

(٢) درر العقود ٣/ ٢٠٢-٢٠٥ (رقم ١١١٠).

(٣) صدر ذلك الكتاب عن (دار الغرب الإسلامي ١٩٩١م) بتحقيق: محمد اليعلاوي في سبعة أجزاء، بينما تم تخصيص الجزء الثامن للفهارس العامة. ويلاحظ أن المقريزي لم يتم هذا الكتاب، والمنشور منه هو ما عُثر عليه مخطوطًا، بينما لا يزال بعضه مفقودًا (راجع التفاصيل في مقدمة المحقق للجزء الأول ص ٦-١٢).

(٤) درر العقود (تحقيق: د. الجليلي) جـ١ ص٦١-٦٢ . وتمتاز هذه المقدمة في الطبعة المشار إليها بالحرص على الضبط بالشكل للألفاظ والأشعار، والآيات القرآنية، وإن وقع بها بعض التحريفات، وأخطاء الطباعة. بينما تتميز المقدمة الواردة بتحقيق د. محمد كمال الدين ١/ ٩٣-٩٤، بتخريج الآيات، وتحديد البحر الذي تنتسب إليه الأبيات.

ب- بعد أن صلى على نبيه ﷺ، وعلى آله وصحبه، وأزواجه، وسائر أهل طاعته، وسلَّم وشرّف وكرّم، بيّن التاريخ الذي بدأ فيه تأليف كتابه هذا (عندما قارب الخمسين)، وسبب تأليفه، وعنوانه، وحقيقة مضمونه، وأنشد أبياتًا لنفسه في رثاء أحبابه وإخوانه، الذين أراد تخليد ذكراهم، ولفقدهم ألّف هذا الكتاب؛ كي يظل على ذكر دائم بهم.

جـ- ثم ذكر التراجم الجديدة التي أراد استحداثها وإضافتها، ومقاييس ترجمة الشخصيات في كتابه هذا، وحدد منهجًا خاصًا يقوم باتباعه عند ترجمة الملوك والحكام والسلاطين، إذ يذكر أولية دولهم، ومن سلف من الحكام قبلهم في دولهم وممالكهم؛ حتى يحيط القارئ علمًا بدول عصره، وحكام زمانه.

التقسيم العام للكتاب:

قسَّم المقريزي كتابه إلى ما يشبه الأبواب، ورتبه على أساس الحروف الهجائية (حرف الألف - الباء - التاء... وهكذا إلى حرف الياء)، وهو النظام الذي اتبعه - غالبًا - في ترتيب كتابه (المقفَّى)[1]. ومما نلاحظه على التقسيم السابق ما يلي:

١- سقوط عنوان (حرف الألف)[2]، ووجود تفاوت كبير جدًا أحيانًا بين أبواب الكتاب في عدد التراجم ومقدار الصفحات[3]، وإسقاط بعض الحروف من الحسبان[4]؛ لعدم وجود تراجم تحتها غالبًا.

٢- عدم مراعاة المقريزي الدقة الكاملة في الترتيب الهجائي للتراجم على

---

(١) فمثلاً: ضم المجلد الأول بعض تراجم حرف الألف (إبراهيم - أبان- أتريب- أحمد)، وحوى المجلد الثاني التراجم من (إدريس الأول إلى ثوبان)، واشتمل المجلد الثالث على التراجم من (جابر بن محمد إلى خير ابن نعيم)، وهكذا. ومن الملاحظ سقوط تراجم بعض الحروف (من الدال إلى الضاد، ومن الغين إلى القاف)، فلعلها في الجزء الضائع من مخطوطات الكتاب.

(٢) درر العقود (ط. الجليلي) جـ١ ص٦٣.

(٣) فمثلاً: باب (حرف الألف) يمتد في جـ١ من ص٦٣-٤٥٣ (ويبلغ ٣٥٨ ترجمة)، بينما يضم باب (حرف الثاء) في الجزء نفسه ترجمتين اثنتين فقط (رقم ٣٧٨-٣٧٩)، ويمتد من ص ٥٦٠ - ٥٧٠.

(٤) كما هو الحال في الجزء الثاني (باب الذال، والضاد)، وفي الجزء الثالث (باب اللام، والهاء، والواو).

مستوى الأبواب بصفة عامة[1]، وعلى مستوى تتابع أنساب المترجَمين على وجه الخصوص[2]. وهذا أدى إلى صعوبة الحصول على الترجمة المطلوبة؛ مما دفع المحقق الدكتور محمود الجليلي إلى عمل فهرست شامل للمترجمين، رتبه ترتيبًا دقيقًا على حروف المعجم حسب لقب كل مترجم ونسبه كاملاً[3].

٣- لم يخصص المقريزي في كتابه بابًا لتراجم النساء، واكتفى بإيراد تراجمهن حسب الترتيب الهجائي جنبًا إلى جنب مع تراجم الرجال[4].

٤- تنوعت بلدان المترجمين تنوعًا كبيرًا، فمنهم: المصري[5]، والمكي[6]، والمدني[7]، والحلبي[8]، والدمشقي[9]، واليمني[10]، والمغربي[11]، والأندلسي[12]،

---

(١) عَوَّدَنَا المقريزي أن يضع التراجم المشتركة في الاسم الأول وراء بعضها في الباب التابعة له، ثم يتلوها بتراجم أخرى تبدأ باسم آخر مشترك على أن يتلو الاسم السابق في الترتيب الهجائي، وهكذا. فمثلاً: بدأ المجلد الأول بمن اسمه (إبراهيم)، ثم من اسمه (أبو بكر)، ثم (أحمد)... إلخ (درر العقود ١/ ٦٣-١٦١). ولكن أحيانًا يختل هذا النظام، فلا يراعي الدقة في الترتيب الهجائي، كما حدث في إيراده تراجم من اسمه (إسماعيل) بعد ترجمة امرأة اسمها (أمة القاهر). (المصدر السابق ١/ ٣٩٨ رقم ٣٢٣، ٣٢٤). وفي موضع آخر ترجم لمن اسمه (قرا يوسف) في باب (الياء). (السابق ٣/ ٥٧٦).

(٢) كما في ترجمته لـ (ثابت بن نعير بن منصور)، وبعده (ثابت بن محمد). (السابق ١/ ٥٦٠-٥٧٠، ورقم ٣٧٨-٣٧٩). وكذا ترجم لـ (إبراهيم بن محمد بن عثمان)، ثم (إبراهيم بن محمد بن خليل). (السابق ١/ ٦٥ رقم ٢، ٣).

(٣) ورد ذلك الفهرست الدقيق في (السابق جـ٤ ص٥٩ - ٢٣٨).

(٤) لعل ذلك راجع إلى ضآلة عدد النساء اللائي ترجم لهن في الكتاب (٥١ امرأة فقط)، وندرة المادة العلمية الواردة في تراجمهن. (السابق: ١/ ٣٩٤-٣٩٨ رقم ٣١٩-٣٢٣، وص ٤٩٠-٤٩١ رقم ٣٧١-٣٧٢، وص٥٨١ رقم ٣٨٥، ٢/ ٥٤-٥٧ رقم ٤٣٧-٤٤٣، وص ٨٨ رقم ٤٦٦-٤٦٨، و ص ٨٩-٩٠ رقم ٤٦٩-٤٧٤، و ص ٩٣-٩٤ رقم ٤٧٧ - ٤٨١ ؛ و ص ١٩٧ رقم ٥٢٨ ، وص ٢٠٢ - ٢٠٦ رقم ٥٣٥ - ٥٤٣، ٣/ ٥-٨ رقم ٨٨٩ - ٨٩٨، و ص ٢٤ رقم ٩١٠، و ص ٤٦٩ - ٤٧٠ رقم ١٣٩٩).

(٥) السابق ١ / ١٠٠ (رقم ٣٣)، ١٠٩ (رقم ٣٧)، ١٢٦ (رقم ٤٥)، وغيرها.

(٦) السابق ٢/ ٤٣ (رقم ٤١٩)، ٦٢ (رقم ٤٤٧)، وغيرهما .

(٧) السابق ١/ ٧٥ (رقم ١٧).

(٨) السابق ١/ ٧٦ (رقم ١٨)، ٢/ ١٣ (رقم ٤٠٢).

(٩) السابق ١/ ٦٨ (رقم ٨-٩).

(١٠) السابق ٢/ ٣٦٢ (رقم ٦٩٥)، ٤٨٤ (رقم ٨١١).

(١١) السابق ١/ ١١٢ (رقم ٣٩)، ١٣٣ (رقم ٥٩)، ١٦٠ (رقم ٩٣).

(١٢) السابق ١/ ٣٦٢ (رقم ٢٨٠)، ٤١٨ (رقم ٣٤٢)، ٣/ ٢٦٠ (رقم ١١٥٨).

والمقدسي الصالحي[1]، والحموي[2]، والبغداي[3]، والموصلي[4]، والحبشي[5]، والتركي[6]، والهندي[7]، والتبريزي[8]. وكذلك تنوعت ثقافتهم، ووظائفهم، ومناصب بعضهم. والغالب على ثقافتهم العلوم الدينية على اعتبار أن سماع الحديث وروايته[9] يمثل القاسم المشترك بين معظم طلاب العلم في تلك العصور، إلي جانب الفقه[10]، والقراءات القرآنية[11]، والوعظ[12]. ويأتي بعد ذلك علوم العربية من لغة ونحو[13]، وأدب[14] (شعر، ونثر). وثمة قليل من التراجم التي ألَمَّ أصحابها بعلوم التاريخ[15]، والطب[16]، والتصوف[17]، والفلك[18]، والحساب[19]، والموسيقى[20]. وبخصوص الوظائف والمناصب، فمنهم من يعلم بالخياطة[21]، وتحمل الشهادة[22]، ووكالة بيت المال[23]، والخطابة[24]، والتدريس[25]، ونظارة

---

(١) درر العقود ١/ ١٢٥ (رقم ٤٤)، ١٤٨ (رقم ٨٧). (٢) السابق ١/ ١٣١ (رقم ٥٤)، ١٥٢ (رقم ٨٩).
(٣) السابق ٣/ ١٤٨ (رقم ١٠٣٣).
(٤) السابق ١/ ١٤١ (رقم ٧٢)، ١٥٨ (رقم ٩١).
(٥) السابق ١/ ٣٨٥ (رقم ٣١٦).
(٦) السابق ١/ ٤٣٢ (رقم ٣٥٣).
(٧) السابق ١/ ٤٢٧ (رقم ٣٤٨).
(٨) السابق ١/ ٤٥٤ (رقم ٣٦٠).
(٩) السابق ١/ ٦٥-٦٧ (رقم ٣-٦) ، وغير ذلك كثير.
(١٠) السابق ١/ ٧١ (رقم ١٢)، ٧٧-٧٨ (رقم ٢٠)، ١٤٠ (رقم ٦٨).
(١١) السابق ٢/ ٥٢-٥٣ (رقم ٤٣٥)، ٦٢-٦٣ (رقم ٤٤٧).
(١٢) السابق ١/ ٧٨ (رقم ٢٢)، ١٠٦ (رقم ٣٦).
(١٣) السابق ١/ ٦٥ (رقم ٢).
(١٤) السابق ١/ ٧٢ - ٧٣ (رقم ١٤)، ٢/ ١٣ (رقم ٤٠٢)، وغير ذلك كثير.
(١٥) السابق ١/ ١٠١-١٠٢ (رقم ٣٤)، ٢٥/ ٣٦٢-٣٦٣ (رقم ٦٩٥).
(١٦) السابق ٢/ ٤٥ (رقم ٤٢٣)، ٤٦٨-٤٦٩ (رقم ٧٨٨).
(١٧) السابق ١/ ١٢٧-١٢٨ (رقم ٤٨)، ١٤٣ (رقم ٧٤).
(١٨) انسابق٢/ ٣٦٠ (رقم ٦٩٢).
(١٩) السابق ٢/ ٣٨١-٣٨٢ (رقم ٧١٨).
(٢٠) السابق ١/ ٢٢٢ (رقم ١٤٤).
(٢١) السابق ١/ ٦٣ (رقم ١).
(٢٢) السابق ١/ ٦٥ (رقم ٢).
(٢٣) السابق ١/ ٦٧ (رقم ٥).
(٢٤) السابق ١/ ٦٧-٦٨ (رقم ٧)، ١٤٦-١٤٧ (رقم ٨٥).
(٢٥) السابق ١/ ٨٥-٨٦ (رقم ٣١)، ١٣٩ (رقم ٦٦).

الجيش والحسبة[١]، والقضاء[٢]، والتجارة[٣]، والكتابة في ديوان الإنشاء[٤]، وكتابة السر[٥]، والوزارة[٦]، وإمرة الحج[٧]، ومشيخة الرباط[٨]، ورئاسة الأطباء[٩]، إلى جانب بعض السلاطين[١٠]، والملوك[١١]، والولاة[١٢] .

٥- الأصل في أصحاب تراجم هذا الكتاب أنهم من المعاصرين للمقريزي، وفقًا لِمَا ألزم به نفسه في مقدمته. والحق أن المؤلف التزم بذلك في غالبية التراجم، لكنه ترجم - أحيانًا - لشخصيات غير معاصرة له[١٣] . ويغلب على ظني أن المقريزي سلك عكس هذا النهج في كتابه الآخر المعروف بـ (المقفى)، حيث اهتم بتراجم أهل مصر والواردين عليها عامة (فهو يشمل السابقين عليه، والمعاصرين له)، ومن المنطقي أن تكون الغلبة لتراجم الماضين[١٤]؛ حتى يقع التمايز بين (الدرر)، و(المقفى).

ثانيًا : البناء التاريخي للتراجم:

يُقصد بذلك طريقة المؤرخ المقريزي في عرض المادة التاريخية بكتابه (درر العقود)، سواء كان ذلك فيما يختص بتراجم الشخصيات، أم الأحداث الواردة داخلها. وسيكون تركيزنا على العناصر التي تتكون منها تراجمه، وترتيب

---

(١) درر العقود ١/ ٦٨-٦٩ (رقم ٩).
(٢) السابق ١/ ١٤٥ (رقم ٨٠)، ١٦١ (رقم ٩٥).
(٣) السابق ٢/ ٤٥ (رقم ٤٢٣).
(٤) السابق ١/ ١٠٤-١٠٥ (رقم ٣٥)، ١٢٣ (رقم ٤٠).
(٥) السابق ١/ ١٢٣-١٢٤ (رقم ٤٢).
(٦) السابق ١/ ١٣٣ (رقم ٥٩).
(٧) السابق ١/ ١٣٣ (رقم ٥٨).
(٨) السابق ١/ ٨١ (رقم ٢٦) ، ١٦٠ (رقم ٩٢).
(٩) السابق ١/ ٤٥٤- ٤٥٥ (رقم ٣٦٠)، ٢/ ٤٦٨-٤٦٩ (رقم ٧٨٨).
(١٠) السابق ١/ ١١٢ (رقم ٣٩)، ٢/ ٤٨٤ (رقم ٨١١).
(١١) السابق ٢/ ٢٤ (رقم ٤٠٨)، ٤٢ (رقم ٤١٧)، ١١٦ (رقم ٥٠٩).
(١٢) السابق ١/ ١٠٣ (رقم ٣٤).
(١٣) السابق ١/ ١٧٧ (رقم ١٠٩، توفى سنة ٧٦٣هـ)، ٢٦٨ (رقم ١٧٥، توفى ٧٦١هـ)، وغيرهما .
(١٤) ولعل مما يؤيد ما قلته بشأن تراجم الماضين والمعاصرين في (المقفى) أنه من بين ٦٩٤ ترجمة اشتمل عليها الجزء الأول، لم أجد سوى إحدى عشرة (١١) ترجمة فقط من المعاصرين للمقريزي، وبقية التراجم لشخصيات غير معاصرة. وهؤلاء المعاصرون تقع تراجمهم في صفحات: ٤٤ (رقم ٢٣)، ١٣٩ (رقم ١٠٧)، ٢١٤ (رقم ٢٤٠)، ٢٩٤ (رقم ٣٤٢)، ٣٥٩ (رقم ٤٢١)، ٥١٢ (رقم ٤٩٦)، ٥١٣ (رقم ٤٩٨)، ٥٣٠ (رقم ٥١٨)، ٥٥٥ (رقم ٥٤٧)، ٥٨٦ (رقم ٥٦٨)، ٦٢١ (رقم ٦٠٤).

إيرادها، ومدى تحقق الترابط والتسلسل بينها، ومدى الالتزام بموضوعاتها، وعلاقة ذلك بطول التراجم وقِصَرها، واللغة والأسلوب المستخدمين للتعبير عن ذلك كله.

١- حرص المقريزي في بداية تراجم كتابه على إيراد أنساب المترجمين، التي تنوعت ما بين أنساب مطولة تتلوها كنية المترجم له، ثم ألقاب وكُنى آبائه وأجداده[١]، وقد يكتفي بذكر جزء من النسب[٢]، ونادرًا ما يكتفي بذكر اسم المترجم له ولقبه دون نسبه[٣]. وأحيانًا يذكر المقريزي -بعد النسب- لقب الشخص، والأماكن المتعددة التي ينتسب إليها، ومذهبه الفقهي[٤].

٢- هناك عناصر رئيسة يحرص المقريزي على سردها في تراجم كتابه ما توافرت المادة العلمية المساعدة على ذلك؛ مما يؤدي إلى ترابط وتسلسل مضمون الترجمة الواردة. فمثلاً: في أولى تراجم كتابه أورد نسب الشخص المترجم له، ولقبه الذي اشتهر به (الشيخ برهان الدين بن زُقَّاعة). وبعد ذلك ذكر تاريخ مولده، وصنعته التي كان يمارسها، وعلومه التي درسها في مرحلة الطلب، وعددًا من أساتذته الذين تلقى على أيديهم. ثم ركز على صلاحه وزهده واشتهاره بذلك في بلده (غزة)، لدرجة استدعاء السلطان له، ثم ازدياد إقبال الناس عليه، واختلاف الناس بعد ذلك في نظرتهم إليه بعد صلته بالسلطان برقوق مدحًا وذمًّا، ثم هبوط منزلته نوعًا ما عند الناصر فرج بن برقوق، وغضب السلطان المؤيد شيخ عليه وإهانته إيَّاه، إلى أن لزم الرجل بيته بالقاهرة حتى وفاته التي حددها المقريزي باليوم والشهر والسنة. وفي نهاية

---

(١) درر العقود ٢/٢٠٦ - ٢٠٧ (رقم ٥٤٤)، وهي ترجمة أمير المؤمنين المستعين بالله العباسي، وكذلك ترجمة السلطان أبي سالم المَرِينيّ ملك فاس والمغرب الأقصى (المصدر السابق ١/ ١١٢ رقم ٣٩).

(٢) كما جاء في ترجمة (أحمد بن محمد بن محمد... وساق جانبًا من نسبه)، ثم قال: من ولد الزبير بن العوام رضي الله عنه. (السابق ١/ ١٦١ رقم ٩٥). وقد يكتفى بذكر اسم المترجم، واسم والده، وجده. مثل: إبراهيم بن محمد بن عثمان النحوي (السابق١/ ٦٥ رقم ٢). وقد تكون الجهالة سببًا في اكتفاء المقريزي باسم المترجم، واسم والده فقط، مثل: أمير حاج بن مُغُلْطاي (السابق٢/ ٥ رقم ٣٨٨).

(٣) مثل: ترجمة (محمد الدَّمْدَمكيّ). (السابق ٣/ ٢٩٠ (رقم ١٢٣٣).

(٤) مثل: إبراهيم بن داود بن عبد الله الآمدي مولدًا، الدمشقي منشأ، المصري وفاة، الشافعي. (السابق ١/ ١١١ رقم ٣٨).

الترجمة حدد لنا المقريزي صلته به، ورأيه فيه وفي معارفه، ثم ختم الترجمة بأمرين: ضبط اسم والد المترجم الذي اشتهر به (زقاعة) بالحروف؛ ليضمن صحة نطقه دون لبس، وأورد طائفة من أشعاره في مدح بعض كبار رجال الدولة في عصره[1] .

بالطبع لم تكن كل تراجم الكتاب على هذا النحو المتكامل الذي عرضتُ مثالاً له فيما سبق، فقد تظهر عناصر جديدة في بعض التراجم يهتم الرجل بإبرازها، وقد تختفي عناصر أخرى لا تتوفر في الشخص المترجم له، أو لم تصل معلومات عنها إلى المقريزي. ومن العناصر المهمة التي برزت في عدد غير قليل من تراجم الكتاب تركيزه- ما توافرت المادة العلمية- على بيان التكوين العلمي، والآثار العلمية للشخصيات، فكان يسرد لنا أسماء الكتب التي تلقاها المترجمون والعلماء الذين تلقوا عليهم هذه الكتب، والعلوم المختلفة التي تتبعها هذه المؤلفات[2] . وأحيانًا يذكر أساتذة المترجم الكبار، ويعطي نماذج دالة على براعته في بعض العلوم[3]، وقد يذكر السند الذي روى به بعض الكتب المهمة[4]، ويحدد مكان سماع الحديث ووقت السماع، وعدد مجالس العلم التي أنهى فيها سماع بعض كتب السُّنَّة[5]، وكذلك يورد عددًا من مؤلفاته[6] . ولم يكتف مؤرخنا المقريزي بذلك كله، بل كان في ترجمته لبعض الصوفية - لاسيما المنتسبين منهم إلى بيوت معروفة بالصلاح- يذكر السلسلة التي سلكتها الأسرة في تلقي التصوف وصولاً إلى أحد العارفين من كبار رجال التصوف المشاهير[7] .

٣- تنوعت الأسباب المؤدية إلى تغير حجم التراجم بين الطول والقصر، فقد

---

(١) درر العقود ١/ ٦٣-٦٥ (ترجمة رقم ١). (٢) السابق: ١/ ٧٨ (رقم ٢٢)، ١٠٠-١٠١ (رقم ٣٣) .

(٣) السابق ١/ ١٤٨ - ١٥٠ (رقم ٨٧). (٤) السابق ١/ ١٩٠ (رقم ١٢١).

(٥) كقوله عن أحمد بن عمر البغدادي: سمعت عليه سنن ابن ماجة بكماله في خمسة عشر مجلسًا، آخرها يوم السبت سادس عشري من شعبان سنة ٧٨٥هـ. (السابق: ١/ ١٩٠ رقم ١٢١).

(٦) السابق ١/ ١٠٢ (رقم ٣٤).

(٧) كما في ترجمة الصوفي (محمد بن صالح بن موسى)، الذي سلك طريق التصوف على يد والده صالح، وأخذ صالح عن أبيه موسى، وأخذ موسى عن الشيخ عبد السلام القَلَيبي، الذي أخذ عن أبي الفتح الواسطي، الذي صحب الشيخ الكبير أحمد الرفاعي . (السابق٣/ ٣٥٥ رقم ١٢٩٧).

لوحظ- في كتاب درر العقود - أنه يحوي بعض التراجم المطولة التي يرجع طولها إلى شهرة أصحابها الكبيرة التي طبقت الآفاق، ووفرة المعلومات المستفيضة عنها، لاسيما أن المقريزي كان على صلة وثيقة ببعض أصحابها. ومن هؤلاء: المؤيد شيخ السلطان المملوكي[١]، والطاغية تيمورلنك[٢]، وأستاذ المقريزي وشيخه الأثير ابن خلدون[٣]. وتوجد تراجم أخرى أقل حجمًا من سابقتها، منها: ترجمة السلطان برسباي المملوكي[٤]، والسلطان السعيد المريني صاحب فاس وبلاد المغرب[٥]، والأستادار جمال الدين[٦]، والإمام ابن حجر العسقلاني[٧].

أما التراجم القصيرة والتي يغلب على كثير منها طابع السطحية، فهي سائدة في تراجم النساء[٨]، كما هو معتاد؛ نظرًا لأن أخبارهن نادرة الانتشار، وأمورهن قائمة على الستر بما يتناسب مع طبيعة العصر. ويستثنى من ذلك ترجمة والدته التي تعد مطولة قياسًا إلى بقية تراجم النساء في الكتاب؛ نظرًا لمكانها عنده وصلته بها، وكثرة الروايات التي رواها عنها[٩].

لا تقتصر التراجم القصيرة والسطحية على النساء، وإن كانت سمة غالبة على معظم تراجمهن، فهناك تراجم غير قليلة للرجال أوردها المقريزي في كتابه تندرج تحت التراجم السطحية[١٠]، التي تعود إلى قلة ما تحت يديه من مادة فيما أرجح، وتعود في بعضها إلى أنها تراجم مؤرخين غير مشهورين بعلم الحديث[١١]، ذلك

---

(١) درر العقود ٢/ ١٢٥-١٨٨ (رقم ٥١٥). ولعل هذه الترجمة أطول تراجم الكتاب، ومع ذلك لم تكتمل، لوجود بياض في المخطوطة، ربما كان المقريزي ينوي الرجوع إليه لاستكمال الترجمة، لكن الوقت لم يسعفه. والغريب أن هذا الكم الكبير من الصفحات بدأ مع المترجم مذ أُخذ صغيرًا من بلده، وفصّل مراحل حياته وصراعاته وهو أمير، ولم يصل بنا إلى مرحلة توليه السلطنة حتى وفاته!

(٢) المصدر السابق ١/ ٥٠١-٥٥٩ (رقم ٣٧٧).

(٣) السابق ٢/ ٣٨٣-٤١٠ (رقم ٧٢٠).

(٤) السابق ١/ ٤٥٦-٤٨٢ (رقم ٣٦٤).

(٥) السابق ٣/ ٢٩٥-٣١٠ (رقم ١٢٣٥).

(٦) السابق ٣/ ٥٦٢-٥٧٢ (رقم ١٤٥٩).

(٧) السابق ١/ ١٩٤-٢٠٢ (رقم ١٢٣).

(٨) السابق ١/ ٣٩٧-٣٩٨ (رقم ٣٢٠-٣٢٣)، ٤٩٠-٤٩١ (رقم ٣٧١-٣٧٢).

(٩) ترجمة (أسماء بنت محمد بن عبد الرحمن) في السابق: ١/ ٣٩٤-٣٩٧ (رقم ٣١٩).

(١٠) السابق ١/ ٦٧ (رقم ٦)، ٧٥-٧٦ (رقم ١٧-١٨)، ٧٧-٧٨ (رقم ٢٠-٢٢)، ٨٠-٨١ (رقم ٢٤-٢٥)، ٨١-٨٢ (رقم ٢٧-٢٩).

(١١) مثل: ابن الوردي ١/ ١٤١ (رقم ٧١)، والقلقشندي ١/ ٣١٢-٣١٣ (رقم ٢٢٢). وعلى كل، فترجمته في (الدرر) بها معلومات أكثر من ترجمته التي لا تتعدى أربعة سطور في (المقفى) جـ١ ص٥١٢ -٥١٣ (رقم ٤٩٦).

العلم الذي يجد في أخباره وأخبار رواته مادة خصبة تثري التراجم. وقد تكون الشخصية المترجم لها لا تزال على قيد الحياة[١]، والقدر الذي جمعه عنها محدود؛ مما يؤدي إلى ضحالة المعلومات الواردة عنها. وربما وجدت بعض الشخصيات غير المؤثرة على الرغم من عظم المنصب الذي تشغله[٢]، فيترجم لها الرجل بما يتواءم مع ضآلة مكانتها الحقيقية. وثمة تراجم أخرى وردت إلينا مختصرة ناقصة[٣]، وبعضها سطحية بسبب المقريزي، أو بفعل نساخ مخطوطات الكتاب، حيث تسقط بعض معلومات التراجم[٤]، وأحيانًا تسقط الترجمة بالكلية[٥].

٤- نجح المقريزي في استخدام المنهج العلمي الأمثل لتحقيق الترابط بين جزئيات بعض التراجم، وذلك عن طريق حُسْن العرض، ودقة التقسيم، والتفصيل بعد الإجمال[٦]. وفي التراجم المطولة التي يستطرد خلالها في ذكر الأحداث التاريخية كان يستخدم المنهج الحولي في عرضها[٧]؛ مما مكنه من ضبط إيقاع الأحداث وترتيبها.

وفي بعض المواضع حدث خلل في ترتيب بعض التراجم كأن يبدأ الترجمة بذكر تاريخ وفاة المترجم[٨]، أو يضيف مكان الوفاة إلى زمان وقوعها في صدر الترجمة[٩]، أو يبدأ بالحديث عن علم المترجم[١٠]، أو يذكر معلومة، ثم يعود بعدها

---

(١) مثل: أبي بكر بن قاضي شُهْبَة (ت٨٥١هـ/ ١٤٤٧م). (درر العقود ١/ ١٤٠ رقم ٦٨).

(٢) مثل: السلطان الصبي فرج بن برقوق (المصدر السابق ٣/ ١٧-١٨ (رقم ٩٠٠)، وكذلك السلطان حسن بن محمد بن قلاوون (السابق ٢/ ٢٦-٢٩ (رقم ٤٠٩).

(٣) مثل: ترجمة الأمير أبي عبد الله صاحب غرناطة (السابق ٣/ ٣٤٢-٣٤٣ رقم ١٢٧٧).

(٤) السابق ٢/ ٥٢٦ (رقم ٨٤٢).

(٥) السابق ١/ ٤٥٥ (الظاهر برقوق رقم ٣٦٢)، ٢/ ٤٧٣ (رقم ٧٩٥).

(٦) السابق ١/ ٤٨٢ - ٤٨٦ (صاحب قشتالة رقم ٣٦٧).

(٧) كما فعل في استعراض جانب من أحداث سلطنة برسباي مؤرخة بالشهور (السابق ١/ ٤٦٣ وما بعدها، رقم ٣٦٤). وكذلك أرخ لجانب من أحداث سلطنة عبدالعزيز بن أحمد المصمودي الحفصي موزعة على السنين (السابق ٢/ ٢٨٤ وما بعدها، رقم ٦٠٩).

(٨) السابق ١/ ١٣٣ (رقم ٥٨).

(٩) السابق ٣/ ٥٢٥-٥٢٦ (رقم ١٤٣٧).

(١٠) السابق ١/ ٧١-٧٢ (رقم ١٢).

بكثير للحديث عنها مرة أخرى[1]. وثمة تراجم أخرى لا صلة فيها بين الترجمة وموضوعها الأصلي[2]، وقد تكون الصلة واهية كأن يتناول بلد المترجم فقط دون أن يُعرّج للحديث عن صاحب الترجمة[3]، أو يحدثنا عن آبائه وفترات حكمهم حديثًا سطحيًا[4]، وقد يذكر الحكام الذين تولوا بعده بعد تناوله هو تناولاً سريعًا[5]، وربما استطرد بعد انتهاء الترجمة ذاكرًا بعض المعلومات الإضافية[6]. أما الظاهرة الشائعة في عدد غير قليل من التراجم - خاصة المطولة- فهي تتمثل في التقديم المفصل عن تاريخ بعض الدول[7]، أو بعض القضاة[8]، أو أصل شعب من الشعوب[9]، وحكامه الأوائل بما يطغي على موضوع الترجمة الأصلي، فيستحيل الأصل فرعًا، والفرع أصلاً في بعض الأحيان.

٥- **لغة المقريزي وأسلوبه**: لاشك أن المقريزي نشأ نشأة دينية طيبة، فحفظ القرآن الكريم، وتلقى علوم الدين والعربية على علماء عصره؛ ولذلك تأثر أسلوبه

---

(١) بدأ ترجمة نور الدين الهيثمي بذكر تاريخ مولده، وأعاد ذكره ثانية في نهاية الترجمة (درر العقود ٢/ ٤٧٨-٤٧٩ رقم ٨٠٠).

(٢) المفترض أن يترجم المقريزي لملك ظَفار (علي بن عمر الكشيري)، لكننا فوجئنا بأن الترجمة عن الحاكم الذي سبقه وعن مملكة ظفار وموقعها فحسب. (المصدر السابق ٢/ ٤٨١ رقم ٨٠٦).

(٣) ترجم لحضرموت وعرّف بها جغرافيًا، وذكر شيئًا من تاريخها القديم، ولم يترجم لـ (دُوْس بن راصع ملك حضرموت). (السابق ٢/ ٨٣ - ٨٤ رقم ٤٦٠).

(٤) مثل: ترجمة إبراهيم بن ناصر ملك الأحساء (السابق ١/ ٨١-٨٢ رقم ٢٧).

(٥) مثل: ترجمة ملك مالي منشا موسى (السابق٣/ ٤٩٦-٤٩٩ رقم ١٤١١).

(٦) كأن يذكر - بعد وفاة المترجم- أحداثًا وقعت لأبنائه حتى انتهاء ملكهم. (السابق ١/ ٢٢٧ رقم ١٥٤).

(٧) فمثلاً: وهو يترجم لأحد أئمة الزيدية قدم لذلك بمقدمة طويلة عن الدولة الزيدية باليمن، وتناول حكامها المتعاقبين في (السابق ٣/ ٣٩٧- ٤١٠ رقم ١٣٥٤)، ولم يبدأ في الترجمة لصاحب الترجمة إلا ص ٤١٠- ٤١١.

(٨) عند الترجمة لأحد القضاة الحنابلة قدم المقريزي بمقدمة مطولة عن موقف حكام مصر من تولية قضاة المذهب الحنبلي عبر العصور الإسلامية، فجزم بأنهم لم يُولّوا إلا في زمن المماليك (عصر ركن الدين بيبرس). (السابق ١/ ٢٦٤-٢٦٥ رقم ١٧٣)، ثم استعرض هؤلاء حتى (ص٢٦٦)، ثم ترجم لصاحب الترجمة الأصلي في نهاية الترجمة (ص٢٦٦-٢٦٧).

(٩) كحديثه المطول عن (بني مرين وحكامهم) في بداية ترجمته للسلطان أبي سالم المريني ملك فاس والمغرب الأقصى (السابق ١/ ١١٢-١١٦ رقم ٣٩).

في كتاب (درر العقود) بهذه المنابع الثقافية الأصيلة. فمن نماذج تأثره بالقرآن الكريم قوله في إحدى التراجم: «وظن السلطان الأمر كما قال، وأعانه عليه قوم آخرون»[1]. وقوله في ترجمة أخرى: «أقاموا ستة أشهر يفسدون في الأرض ولا يصلحون»[2]. ونلحظ أن للرجل - في بعض المواضع- عبارات تشي بثقافته العربية التراثية المتمثلة في الأمثال العربية[3]، والعبارات الشهيرة التي ارتبطت بوقائع تاريخية مهمة[4]، وكيف طوّعها الرجل؛ لتكون خير معبّر عن الحدث الذي يسوقه.

يتميز المقريزي بتورعه عن فحش القول، فيُوَرّى عما لا يليق التصريح به كقوله: «وأن الخليفة قد خلعه من الملك وعزله عن السلطنة، فلا يحل لأحد معاونته ولا مساعدته، فإنه الكذا والكذا»[5]. وتلك من أهم سمات المؤرخ الحق، وسنزيدها تجلية وتوضيحًا لديه عند بيان رأيه في مترجَميه.

على الرغم من كافة المحاسن السابقة، ولغة المقريزي البليغة الراقية، التي تصف بدقة وبراعة أحد الأعيان المترجمين[6]، إلا أن الضعف اللغوي السائد في عصر

---

(١) درر العقود ١/ ٤١٠ (رقم ٣٣٨). وهو مأخوذ من قول الله (تعالى): ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾. (سورة الفرقان: ٢٥ / الآية ٤).

(٢) درر العقود ١/ ٤٥٠ (رقم ٣٥٨). وهو مأخوذ من قوله (تعالى): ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ﴾. (سورة النمل: ٢٧/ الآية ٤٨).

(٣) كقوله عن الأمير القاضي ابن غراب الذي كان يتقرب إلى الظاهر برقوق: فلما مات الظاهر، وآل أمر ابن غراب إلى ما ذُكر؛ أحب أن يستريح من فتح الله [كاتب السر]، فمازال يفتل في الذروة والغارب، حتى أصلح أمر يشبك، والأمراء المختفين بالقاهرة مع الناصر، وأعادهم الناصر إلى مناصبهم، ثم استعان بالأمير يشبك علي فتح الله وقبض عليه. (درر العقود ١/ ٩٦ رقم ٣٢). والمثل العربي الوارد في العبارة يعني: يدور من وراء خديعته، فهو يُضرب عند المخادعة (لسان العرب، مادة: ف. ت. ل) جـ٥ ص ٣٣٤٤، والقاموس المحيط للفيروزابادي (طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، باب اللام، فصل الفاء جـ٤ ص٢٨ .

(٤) قال المقريزي: «وقام ابن غراب بأعباء دولته [دولة الناصر فرج بن برقوق]؛ إذ هو جُذَيْلها المُحكَّك، وعُذَيْقُها المُرَجَّب». (درر العقود ١/ ٩٦-٩٧ رقم ٣٢). والعبارة الواردة مقتبسة مما نُسب إلى الصحابي (الحُباب بن المنذر في يوم السقيفة). (راجع: تاريخ الطبري، طبعة دار المعارف بالقاهرة ٣/ ٢٢٠-٢٢١). وهي مقولة تُضرب لمن يُستشفَى برأيه، ويُحسن القيام بأمره (لسان العرب، مادة: ج. ذ. ل) جـ١ ص٥٧٧، ومادة: (ر. ج. ب) جـ٣ ص١٥٨٤ .

(٥) درر العقود ٢ / ٢١٢ (رقم ٥٤٤).

(٦) من ذلك قوله: «وعارك خطوب الدهر، وتحَسَّى كأسَيْ حلوه ومُرّه، ولبس رداءي سَرّائه وضُرّه، وبرع في الأدب، وقال الشعر البديع، ونثر فازرَى بالرياض زمن الربيع». (المصدر السابق ٢/ ٢٤٧ رقم ٥٧٥).

المماليك ينضح - أحيانًا - على لغته وبعض أساليبه المستخدمة في كتابه (درر العقود)، فنجد لغة ركيكة ضعيفة مبتذلة تقترب من العامية[1]، علاوة على بعض الأخطاء اللغوية التي لا نبرئ ساحة المقريزي من الوقوع فيها[2]، أو على أحسن التقدير، وأفضل الظن نقول: إنها من النسّاخ، مع الوضع في الحسبان أن هناك أخطاء طباعية عديدة[3]، لم يفطن إليها المحقق.

ثالثًا: موارد الكتاب:

من القواعد المنهجية التي حرص عليها بعض مؤرخينا الكبار النص على الموارد المتنوعة التي استمدوا منها المادة العلمية لمؤلفاتهم[4]. ومن هؤلاء: المقريزي صاحب كتاب (درر العقود)، فمن خلال قراءتي المتأنية للكتاب في طبعته الكاملة ذات المجلدات الثلاثة، تبين لي أنه كان دقيقًا -إلى حد كبير- في اختيار بل انتقاء موارد كتابه، على الرغم من ضخامته من حيث عدد تراجمه، وتنوع أحداثه. وعلى كلٍّ، يمكن استعراض أقسام هذه الموارد على النحو الآتي:

١- الموارد الشفهية:

أ- أخبرني ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد العزيز، قال: أخبرني شرف الدين محمد بن الدماميني السكندري محتسب القاهرة وناظر الجيش

---

(١) كقوله: «فلم يمش هذا على السلطان، وعلم أنه يريد مخادعته». (درر العقود ٢/ ١٧٠ رقم ٥١٥). وقوله: «فرَشَّ أبو تاشفين إلى من معه من العرب بالمال» (السابق ٢/ ٢٦٠ رقم ٥٩٢). وقوله أيضًا: «وأحوال الدولة واقفة... فمشى ذلك على الناس». (السابق ٣/ ٤٢٤ رقم ١٣٦٥).

(٢) مثل قوله: مِهْزَارًا مكْتَارًا (السابق، طبعة عالم الكتب بتحقيق: د. كمال الدين عز الدين) جـ١ ص٩٨. والصواب: مِهْذَارًا (بالذال). ومهابًا (السابق، طبعة الجليلي ١/ ٩١، وطبعة عز الدين ١/ ١٦٠). والصواب: ومَهِيبًا. وثانٍ عليه (السابق، طبعة الجليلي ١/ ١٢٩، وطبعة عز الدين ١/ ١٥٢)، والصواب: ومُثْنٍ عليه.

(٣) أعْيي (السابق، طبعة الجليلي ١/ ٣٦٥). والصواب: أعْيَا. في ما (السابق ١/ ٥٦٣). والصواب: فيما. فقلّ ما (السابق ١/ ٣٦٥). والصواب: فقلما. رؤى (السابق ١/ ٥٠٧). والصواب: رُئي. مأذنة (السابق ٣/ ٤٩٢). والصواب: مِئذنة.

(٤) من الطريف - مثلاً- أن ينص المؤرخ الكبير ابن خلكان على أقسام موارد كتابه (وفيات الأعيان) في مقدمته (جـ١ ص٢١) ضمن العنوان الكامل له، حيث قال: «وسميته كتاب «وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مما ثبت بالنقل، أو السماع، أو أثبتَه العِيان»؛ ليُستَدل على مضمون الكتاب بمجرد العنوان».

(مقدار ما حصل عليه المحتسب من مال محمود **الأُستادّار**، وكذا ما نال القاضي الأمير ابن غراب منه)[1] .

ب- أخبرني عزيز مصر القاضي الأمير غَلاَّب الدول، وكبش النِّطاح... بغل طاحونة الغدر، وأحد القائمين بتخريب إقليم مصر سعد الدين إبراهيم بن غراب (إحصائيات مفصلة عن مقدار ما خلّفه الملك الظاهر برقوق من الذهب، والغلال، والثياب وغيرها، ونفقات مماليكه، ومقدار ما يستهلك من اللحم كل يوم، وما يلزم خيوله شهريًّا من الفول والشعير، وغيرهما)[2] .

جـ- ترجم المقريزي لـ (إبراهيم بن عبد الرحمن بن سليمان الشافعي)، ووصفه بالثقة، والضبط، والأمانة، والديانة، ثم قال: سألته عن أخبار تيمورلنك (حدّد له سنة ابتداء ظهوره، وهي سنة ٧٧٣هـ)[3] .

د- أخبرني صديقنا صارم الدين إبراهيم بن محمد بن دُقْماق مؤرخ الديار المصرية، قال: أخبرني أبي (ما قالته العامّة؛ استهزاء بحكامها، وتشاؤمًا بهم عندما توقفت مياه النيل عن الجريان سنة ٧٠٩هـ)[4] .

هـ- أنشدني (ابن دقماق) - رحمه الله- قال: أنشدنا الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى السعدي (وذكر له بيتي شعر قالهما بمناسبة موت أم السلطان الأشرف شعبان بن حسين، وتنبأ بموعد موت الأمير أُلْجاي اليوسفي أحد أمراء الأشراف، وقد تحققت نبوءته بالفعل)[5] .

و- في مطلع ترجمة (أبي سالم المريني) أتى المقريزي بمادة غزيرة عن أصل بني

---

(١) درر العقود ١/٩٨ (رقم ٣٢). الأُستادّار هو نطق المتشدقين من الكُتّاب. والصواب: الإِسْتَدَّار، وهو لقب يطلق على من يتولى شئون مسكن السلطان أو الأمير، ومصروفاته، وتنفذ فيه أوامره. وهو مركب من لفظين فارسيين: إستذ (بالذال) ومعناها: الأخذ. ودار: معناها الممسك، فأُدغمت الذال في الدال، وصار المعنى الحرفي: المتولى للأخذ . (صبح الأعشى للقلقشندي، نشر: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر) جـ٥ ص٤٥٧، والتعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد قنديل البقلي، طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م، ص ٢٨ .

(٢) درر العقود ١/٩٩-١٠٠ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٨١ (رقم ٢٦).

(٤) السابق ١/ ١٠٣ (رقم ٣٤).

(٥) السابق ١/١٠٣-١٠٤ (رقم ٣٤).

مَـرين، وحكامـهم المتـتـابعين. وفي النهـاية قـال: وعن ابن خلدون أخـذتُ هذه الترجمة. وغيرها من أخبار بني مرين[1].

ز- أورد المقريزي قـصيدة عصـماء مطولة، أنشدها لـسان الدين بن الخطيب في مجلس مُلك السلطان أبي سالم المريني بفاس، يستصرخه فيها ويستحثه على مناصرة سلطان غرناطة المخلوع أبي عـبد الله محمـد بن الأحمر. وبعد انتـهاء القصـيدة قال المقريزي: أملى عليّ هذا القصيدَ - كما أوردتُـه - شيخُنا أستاذُ الزمان صاحب القلم الأعلى ببلاد المغرب، وقاضي القضاة بديار مـصر وليُّ الدين أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن محمد بن خَلْدون الحضرمي الإشبيلي المالكي (رحمه الله) في يوم الخميس منتصف صفـر سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ثم قـال: وكنت- يومئذ- في المجلس، فلما أتى ابن الخطيب على قوله:

وهذا ابن نصر قد أتى وجناحُه كَسيرٌ ومن عُلْياك يُلتَمس الجَبْرُ

انتحب أهل المجلس بالبكاء، وضَجُّوا بالعَويل، وكان يومًا مشهودًا[2].

ح- أخبرتني أمي أنها أقامت مع والدي أربع عشرة سنة، ما رأته ترك قيام الليل قطُّ إلا من مرض[3].

ط- روايات عديدة أخرى رواها المقريزي عن أمه، منها: قوله: وأخبرتني عن أم حلوة (من مـعارفـها)[4]، وأخبـرتني عن امرأة[5]، وأخبـرتني أن من المجرَّب[6]، وكذلك روى عن خال أمه حِكَمًا ونصائح، وعِبَرًا[7].

ي- أخبرني نجم الدين المرجـاني (مقدار كتب ملك اليمن الأشـرف، حيث قدم الراوي علي المقريزي بالقاهرة؛ لشراء كتب لمليكه المُغْرَى بجمع الكتب)[8].

---

(١) درر العقود ١/ ١١٢-١١٧ (رقم ٣٩).
(٢) المصدر السابق ١/ ١١٨-١٢١ (رقم ٣٩).
(٣) السابق ٢/ ٥١٧ (رقم ٨٢٧).
(٤) السابق ١/ ٣٩٥-٣٩٦ (رقم ٣١٩ حول دعاء المرأة المذكورة أن يرد عليـها ولدها كما رده من قبل في حكاية عجيبة روتها).
(٥) السابق ١/ ٣٩٦ (ذكرت الرواية وفاة ابنتها صبيحة ليلة عرسها، وكشف غموض هذا الحادث الجلل).
(٦) السابق ١/ ٣٩٦ (حِكَم مستخلصة من تجارب اجتماعية مجرَّبة).
(٧) السابق ١/ ٤١٦ - ٤١٧ (رقم ٣٤١).
(٨) السابق ١/ ٤٠٣ (رقم ٣٢٩).

ك- أخبرني الشيخ سالم- وقد تذاكرتُ معه أخبار شيخنا قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم بن جماعة (رحمه الله)- أنه توجه معه إلى الرباط المطل على بِرْكَة الحَبَش[1]، وذكر ما أعده من المآكل حال إقامته في الرباط، ثم حدوث ما اضطره إلى الرجوع لداره بالقاهرة، وإنعامه بما كان قد أعده على فقراء الرباط)[2] .

ل- حدثنا شيخنا الأستاذ أبو زيد قاضي القضاة ولي الدين عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي الإشبيلي المالكي (رحمه الله) قال: حدثنا شيخ المغرب في المعقولات أبو عبد الله محمد الأبلي، قال: حدثنا إمام الوقت في علوم الأوائل أبو العباس بن البنّاء (الاستدلال بعلم الفلك على أوجه الشبه بين الأوضاع الداخلية لدى كل من: المماليك، وبني مرين)[3] .

م- أخبرني من لفظه قبل سفره الذي مات فيه (يقصد المترجم له محمد بن إبراهيم المُناوي): رواية دالة على عظم ترفه وملذاته[4] .

ن- وحدثني صاحبنا القاضي نور الدين أبو الحسن علي بن شيخنا الإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن الملقِّن، وكان أثيرًا عند الصدر خصيصًا به (عبرة وعظة في وفاة المترجم له قاضي القضاة صدر الدين المناوي)[5] .

س- عدة روايات رواها المقريزي عن ابن خلدون، وعن شيوخ محققين ذكروا أعاجيب عن امرأة لا تأكل ولا تشرب ليلاً ولا نهارًا، ورجل يأكل ويشرب كثيرًا، ولا يبول ولا يتغوط أبدًا، وأخرى في صحة جيدة ظلت أكثر من ثلاثين سنة بلا أكل ولا شرب[6] .

ع- قال لي مقبل - رحمه الله- : دخل برقوق على الشيخ بادار، وأنا حاضر

---

(١) أرض منخفضة واسعة طولها نحو ميل، مشرفة على نيل مصر خلف القرافة، وهي من أجمل متنزهات مصر، وكانت تعرف ببركة المَعَافِر وبركة حمير، عندها بساتين تعرف بـ (الحبش)، وكانت في مِلْك أبي بكر محمد بن علي المادَرائي وزير آل طولون. (معجم البلدان لياقوت الحموي، طبعة دار الكتب العلمية) ١/ ٤٧٧، والانتصار لواسطة عقد الأمصار لابن دقماق (طبعة دار الآفاق الجديدة) جـ٤ ص٥٥ .

(٢) درر العقود ٢/ ٩١-٩٤ (رقم ٤٧٥).

(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٠٤ (رقم ٧٢٠).

(٤) السابق ٣/ ٣٢-٣٣ (رقم ٩١٤).

(٥) السابق ٣/ ٣٢ .

(٦) السابق ٣/ ٣٧٨-٣٧٩ (رقم ١٣٢٧).

عنده، أو قال: استأذن عليه وأنا عنده -الشك مني أنا- تنبأ الشيخ له أن يملك البلاد، وكان يومها من آحاد المماليك)[1].

ف- كان الفقيه الحنفي أحمد بن كَنْدُغْدي مختصًّا بالظاهر برقوق، وكان يُتهم بأنه هو الذي ترخّص للسلطان في شرب النبيذ على قاعدة المذهب الحنفي، فأفضى ذلك إلى تعاطيه ما أجمع على تحريمه. **وقد شافهتُه بذلك؛ فلم ينكره مني**[2].

ص- أخبرني العبد الصالح أبو هاشم أحمد بن البرهان أنه لما كان بحلب أعوام بضع وثمانين وسبعمائة، اشتهر عن قاضي القضاة يوسف بن موسى المَلَطيّ الحلبي الحنفي إفتاؤه بإباحة أكل الحشيش وجواز الربا، والحكم بزندقة من نظر في (صحيح البخاري). وفي لقاء جمع الراوي بهذا القاضي مع قاضٍ آخر (ابن الشحنة)، سمع راوي الخبر ابنَ الشحنة ينشد الملطي أبياتًا تنعي عليه ما أفتى به. فلما قدم ابن الشحنة القاهرة بعد ذلك، ذكر له المقريزي هذا الجزء، فأنشد الأبيات التي نظمها وألقاها من قبل على مسامع الملطي. ثم حكى المقريزي مجلسًا ضمه - وهو والي الحسبة- والملطي هذا وغيرهما من الأعيان، ينتظرون الإذن بالدخول إلى السلطان، ووصف تمادي الملطي أثناء ذلك في غيّه ومجونه وغنائه وتبذله؛ مما دفع المقريزي إلى القول بأنه ساقط العدالة، ذاهب المروءة[3].

ق- في بداية ترجمته لابن خلدون أورد المقريزي نسبه، ثم قال: كذا أملى عليّ نسبه[4].

ملاحظات تحليلية نقدية:

أ- بالنظر إلى النماذج التي سقتها فيما مضى، يلاحظ أن الألفاظ التي استخدمها المقريزي في صدر موارده الشفهية هي: (أخبرني- أخبرني من لفظه- أخبرني وقد تذاكرتُ معه- أخبرتني - حدثنا- حدثني- سألتُه- أنشدني- أخذتُ- قال لي - شافهتُه- أملى عليّ). وتجدر الإشارة إلى وجود بعض الفروق بينها؛ فالمقريزي - أحيانًا - ينقل عن مورده بنصه (بلفظه)، وقد يجمع بين الخبر والمذاكرة

(١) درر العقود ٣/ ٤١٩ (رقم ١٣٦٢).
(٢) السابق ١/ ٣٢٨ - ٣٢٩ (رقم ٢٣٧).
(٣) السابق ٣/ ٥٧٣ (رقم ١٤٦٠).
(٤) السابق ٢/ ٣٨٣ (رقم ٧٢٠).

مع مورده، وقد يكون مورده امرأة، وقد يتحرى مدى صدق مورده، فيسأل ويشافه مستوثقًا. وعند رواية الشعر يستخدم مصطلح (أنشدني)، وإذا أملى عليه مورده شيئًا قال: أملى عليّ.

ب- يكتفي المقريزي بذكر مورده المباشر، وأحيانًا يأتي بمورد وسيط بينه وبين الراوي الأصلي، وقد يأتي بإسناد كامل للروايات، ويذكر فيه ثلاثة رواة متعاقبين مثلاً.

ج- ينتقي المقريزي موارده بعناية ودقة بما يتناسب مع المعلومات التي يذكرها، فيروي عن والدته ما يتصل بحياة أبيه، وما يتعلق بالتجارب الاجتماعية المختلفة، ويروي عن جده (خال أمه) الحِكَم، والمواعظ، والعِبَر. ورأيناه - من قبل- يروي عن ابن خلدون قصيدة ابن الخطيب؛ لحضور ابن خلدون مجلس السلطان أبي سالم المريني، الذي أنشدت في حضرته تلك القصيدة ذات التأثير البالغ في جموع الحاضرين، ويلازم وَرّاق الملك اليمني الأشرف إسماعيل لما جاء إلى القاهرة، فحدّثه بكثير من أحوال الأشرف[1]، ووقف منه على حجم مكتبته الخاصة؛ إذ كان الملك مغرمًا باقتناء الكتب، وكانت زيارة وراقة نجم الدين المرجاني لشراء كتب علمية له من مصر. وكثيرًا ما يكون مورده هو الشخص الذي يترجم له، فييسر له ذلك الحصول على المعلومات من مصدرها المباشر، لاسيما إذا كانت لصيقة الصلة بصاحبها (كإملاء ابن خلدون نسبه على المقريزي وهو يترجم له). وكان المقريزي حريصًا على بيان جدارة موارده بالنقل عنها، ومصداقيتها في الرواية؛ ولذلك كانت له طرق متعددة لتقرير ذلك، منها: وصفه لأحد موارده وهو يترجم له بأنه ثقة ضابط، أمين دَيّن[2]، وقوله عن آخر: صحبته سفرًا وحضرًا، فبلوتُ منه ديانة، وصيانة، وعفة[3]، وقد يصفه بعدد من الصفات التي تبرز مكانته ومنزلته، وإحاطته بالموضوع المروي عنه، كأن يذكر صلته الوثيقة بالسلطان، أو منصبه الرفيع (محتسب القاهرة وناظر الجيش) بما يؤهله للنقل عنه.

د- يلاحظ أن المقريزي في العديد من رواياته يقوم بتصدير لفظة الرواية أولاً،

---

(١) درر العقود ٣/ ١٢٤-١٢٥ (رقم ١٠١١). (٢) السابق ٣/ ٤١٨ . (٣) السابق ١/ ٤٨٨ (رقم ٣٦٩).

ثم يذكر مورده، أو سند روايته، ثم يتبع ذلك بذكر الرواية نفسها. لكنه - أحيانًا- يبدأ بمضمون الرواية، ويذيله بذكر المورد، وربما أضاف إلى ذلك مزيدًا من عناصر التوثيق، كما فعل بعد أن ساق قصيدة ابن الخطيب، حيث ذكر تاريخ إنشادها، ومكانه، والظروف التي أنشدت فيها، وحضور ابن خلدون راوي القصيدة ذلك المجلس، وتأثيرها البالغ في الحضور.

هـ- اهتم المقريزي بالأمانة والدقة في النقل، وإذا شك في نص عبارة منقولة عن مورده- ولو لم تكن في صلب الرواية - أوردها على وجهين محتملين، وصرح بأن الشك نابع منه هو لا من مورده. وبلغ المقريزي درجة عظيمة من التحري والتثبت، لاسيما فيما يتعلق بالاتهامات الخطيرة التي ترد في التراجم أحيانًا، حيث رأيناه يتجه لمشافهة أحد القضاة، بلغه أنه هو الذي رخّص للسلطان في شرب النبيذ، فلم ينكر القاضي ما بلغه عنه، فعلم صدق الرواية. وكذلك ما سبق أن رويناه من اتهامات خطيرة نسبت إلى القاضي الملطي، فلم يكتف المقريزي برواية ذلك عن مورد ثقة صالح، وإنما لقي الراوي الأصلي لما جاء إلى القاهرة، فأكد له ما رُوي عنه، ثم تحقق المقريزي الأمر بنفسه، عندما شاهد مظاهر الميوعة والمجون على القاضي المتهم، عندما اجتمع به في أحد المجالس.

و- على الرغم من الإيجابيات الكثيرة في منهج المقريزي في ذكر موارده الشفهية، إلا أنني آخذ عليه نقله بعض الروايات التي لا يقبلها عقل ولا منطق، وتدخل في باب الخرافات والأساطير. لقد ذكر المقريزي في ترجمة (عبدالله بن شيرين) أنه كان يحدثهم بعجائب عن بلاد الهند، فكان يُتهم في نقله؛ نظرًا لغرابة ما يروى [1]. وهذا يعني أن الرجل يدرك جيدًا أهمية صحة ما يُروى ومعقوليته، دون الاكتفاء فقط بصدق ووثاقة الراوي. ورغم ذلك فقد روي عن الثقة مقبل الشامي في (ترجمة بادار العجمي): أنه كان يخبر من يدخل عليه بما أضمر في نفسه، وما يصير إليه (أي: في مستقبل الأيام). ولما سئل بادار عن ذلك، قال: إنما هو كلام استفدته من ابن عربي. ويعلق المقريزي بما يفيد قناعته بتمتع المترجم له بهذه القدرات الخارقة

(١) درر العقود ٢/٣٥٦ (رقم ٦٨٦).

(علم الغيب)، فيقول: إنما قال ذلك؛ ليهضم نفسه[1] (تواضعًا)! هذا إلى جانب ما سبق ذكره من روايات عن أولئك الذين يخرقون نواميس الخلق فلا يأكلون ولا يشربون سنوات طوالاً، وبعضهم يأكل ويشرب، لكنه لا يبول ولا يتغوط، وكأنه صار من أهل النعيم المقيم وهو لا يزال في الدنيا! إلى غير ذلك من الروايات الأسطورية التي فات المقريزي فيها أن يتحقق صحة المتن والسند معًا، لا السند وحده[2].

٢- الموارد المكتوبة:

أ- اطلع المقريزي على عدد من المصادر القيمة، التي حوت مادة علمية مفيدة في تأليف كتابه (درر العقود). من هذه المصادر ما يلي: (المعجم المختص بالمحدثين للإمام الذهبي[3]، ومعجم شيوخ الذهبي للإمام الذهبي أيضًا[4]، والوفيات لابن رافع السلامي[5]، وطبقات الشافعية للإسنوي[6]، والمجمع المؤسَّس للمعجم المفهرس لابن حجر العسقلاني[7]، وتاريخ ابن كثير[8]، وجمهرة ابن حزم[9]، والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب[10]، وذيل تذكرة الحفاظ للحسيني[11]،

---

(١) درر العقود ١/ ٤٥٤ (رقم ٣٥٩).

(٢) من ذلك ما جاء في (السابق) جـ٣ ص٤١٩ (رقم ١٣٦٣).

(٣) السابق ١/ ١٣٨-١٣٩ (رقم ٦٥)، ١/ ٣٤٤ (رقم ٢٥٢)، ١/ ٤٠١ (رقم ٣٢٧)، ٢/ ٦٤ (رقم ٤٤٨): (وذكره في معجمه المختص، فقال.... انتهى)، ٣/ ٤٥٢-٤٥٣ (رقم ١٣٨٩) شرحه.

(٤) السابق ٣/ ٢٥٦ (رقم ١١٥٧): قال الذهبي في معجم شيوخه... انتهى).

(٥) السابق ١/ ٨٢ (رقم ٢٨: قال ابن رافع)، ١/ ٢٦٨ (رقم ١٧٥ - ١٧٦)، ١/ ٢٧٢ (رقم ١٨٥).

(٦) السابق ١/ ٢٧٠ (رقم ١٨٠: قال الإسنوي في الطبقات)، ٢٩٢ (رقم ٢٠٣): قال فيه الجمال عبد الرحيم الإسنوي)، ١/ ٢٩٩-٣٠٠ (رقم ٦١٤): وذكره الجمال الإسنوي... انتهى.

(٧) السابق ٢/ ٢٢٥ (رقم ٥٥٥: ساق الترجمة، وفي نهايتها: من معجم العسقلاني)، ورقم ٥٥٦: ساق الترجمة أيضًا، وفي نهايتها: انتهى من معجم العسقلاني.

(٨) السابق ١/ ١٥١ (رقم ٨٧) قال العماد بن كثير في تاريخه).

(٩) السابق ٢/ ٣٨٣-٣٨٤ (رقم ٧٢٠): قال الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم في كتاب (جمهرة الأنساب)... انتهى ما قاله أبو محمد بن حزم.

(١٠) السابق ٢/ ٣٨٦ - ٣٨٧، ٣٩٨، ٤٠٣ (رقم ٧٢٠): قال في الإحاطة.

(١١) السابق ٢/ ٣٤٨ رقم ٦٧٦ (ورد اسم المصدر على نحو غير دقيق، حيث سمّاه المقريزي ذيل طبقات الحفاظ للذهبي).

والتمهيد لابن عبد البر[1]، ونزهة المشتاق للإدريسي[2] .

ب- وثمة نقول أخرى في كتاب (درر العقود)، اقتبسها المقريزي من نصوص مكتوبة لم يُفصح عن ماهيتها، ويغلب على الظن أنها مجاميع متناثرة هنا وهناك، وقف على بعضها بخطوط أصحابها، ومنها نقل ما يفيده من المعلومات التي يحتاج إليها في صياغة تراجم كتابه. ومن الأمثلة على ذلك قوله: نقلتُ من خط قاضي القضاة ابن السبكي ما نصه[3]، وولد في أواخر سنة... هكذا بخطه[4]، ورأيت بخطه ترجمة أبيه[5] .

جـ- ومما يدخل تحت الموارد المكتوبة- ولو على سبيل التجوز- ما يعرف بالمكاتبات (المراسلات)، فهناك نماذج عديدة لمعلومات حصل عليها المقريزي وسجلها في كتابه عن طريق المراسلة، منها قوله: كتب إليَّ الحافظ قاضي القضاة أبو الفضل أحمد بن حجر، قال: أخبرني الجمال المصري[6]، وأخبرني الأديب الكاتب الفاضل أبوعبدالله محمد بن عبد الحق السبتي - رحمه الله- مشافهة، وكتب به إليّ[7]، وكتب إليّ من أثق به من دمشق[8]، وله المصنفات البديعة على ما كتب به إليَّ[9] .

د- وثائق مهمة: أعتقد أن مؤرخنا المقريزي- بحكم عمله في الديوان، واختلاطه برجالات الحكم حين ولى الحسبة- كان له اطلاع على كثير من أمور الدولة المملوكية، ولعله طالع عددًا غير قليل من وثائقها، لكنه لم يحتفظ لنا في كتابه (درر

---

(١) درر العقود ٣/ ٦٥ (رقم ٩٤١): قال أبو عمر بن عبد البر في كتاب (التمهيد).

(٢) السابق ٢/ ٤١٩ (رقم ٧٢٣): وذكر صاحب كتاب رُجار. وهذه إشارة إلى الإدريسي الذي ألَّف كتابه الجغرافي الشهير (نزهة المشتاق)، وقدَّمه إلي ملك صقلية النورماندي روجر الثاني - المعروف عند العرب باسم رجار أو لجُار- الذي صار ملكًا على دولة النورمان كلها في إيطاليا وصقلية سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣٠م. (تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس للدكتور حسين مؤنس، الطبعة الثانية ١٩٨٦م. الناشر: مكتبة مدبولي) ص ١٧٨ ..

(٣) درر العقود ١/ ١٦٩-١٧٠ (رقم ١٠٠).

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٤٠ (رقم ٦٦٠).

(٥) السابق ٢/ ٣٨١ (رقم ٧١٧).

(٦) السابق ١/ ٤٠٣-٤٠٤ (رقم ٣٢٩).

(٧) السابق ٢/ ٢٨٨ (رقم ٦٠٩). لاحظ أن لسند الرواية بقية نصها: «قال: حكى لي- أيده الله ونصره- وقال لي». والمقصود به المترجم السلطان عبد العزيز بن أحمد المصمودي الحفصي .

(٨) السابق ٢/ ٥٤٢ (رقم ٨٦٠).

(٩) السابق ٣/ ٥٠٦ (رقم ١٤٢١).

العقـود) بشيء ذي بال منها، واكـتفى بالإشـارة السريعـة إلى بعض مضـامين كتب صادرة من السلطان بتوجيهات معينة[1]، أو الإشارة إلى بنود محددة في وثيقة مبايعة الخليفة العباسي[2] . ولعل من أفضل ما في الكتاب من نصوص ذات طابع وثائقي، احتفظ لـنا بها المقريزي، ما جـاء على هيئة حوار جـدلي بشأن تولي الحكم بين ولي العهد وابن عمه في ترجمة (حفيد تيمورلنك)[3]، وأخيراً أورد المقريزي وثيقة متميزة في (ترجمـة أستـاذه العلاّمـة ابن خلدون)، عبارة عـن كتاب تَلَقَّـاه ابن خلدون من السلطان أبي حَمُّو صاحب تِلِمْسَان يستدعيه؛ كي يلي منصب الحجابة والعلامة لديه، ونقل لنا المقريزي ما كـتبه السلطان بخطه من ذلك الكتاب، حيث جاء فـيه: «الحمد لله على ما أنعم، والشكر لله على ما وهب، ليعْلمِ الفقيه المكرَّم أبو زيد عبد الرحمن ابن خلدون (حفظه الله)، على أنك تقصد إلى مـقامنا الكريم؛ لما خصصناكم به من الرتبـة المُنيفـة، والمنزلة الرفـيعـة، وهو قلم خلافـتنا، والانتظام في سلك أوليـائنا، أعلمناكم بذلك». وكتـب بخط يده: «عبد الله المتـوكل على الله موسى بن يوسف، لطف الله به وخـار له». ثـم أشـار إلى أن بقـيـة الكتـاب كُـتب بـخط الكاتب لا السلطان[4] .

تعليق:

أ- تنوعت الموارد المكتوبة التي اعتمد عليها المقريزي في اقتباس بعض مادة كتابه ما بين كـتب معاجم الرواة (تراجم المحدثين)، وطبـقات فقهـاء الشافعيـة، والتاريخ العام، والأنساب، وتاريخ مدينة بعينها، والفقه، والجغرافية، وغيرها.

ب- سلك المقريزي طرقًا مـختلفة في إيراد موارده المكتوبة؛ فأحـيانًا يذكر المورد ومؤلفه؛ كما في كتابَي الذهبي عن المحدثين وشيوخه، وكذلك (الطبقات للإسنوي)، وإن ذكر عنوانه مـختصراً، وكذلـك ذكر عنوان جمهـرة أنساب ابن حزم مخـتصراً،

---

(١) درر العقود ٢/ ١٦٢ (رقم ٥١٥): مثل: كـتاب السلطان فرج بن برقوق إلى قضاة دمـشق وأعيانها بالإنكار على الأمير شيخ، وتحريض العامة ضده.

(٢) السابق ٢/ ٢١٣ (رقم ٥٤٤).

(٣) السابق ٢/ ٧٠-٧١ (رقم ٤٥٢).

(٤) السابق ٢/ ٣٩٢ (رقم ٧٢٠).

ومعجم ابن حجر العسقلاني. وقد يكتفى بالإشارة إلى المؤلف دون ذكر الكتاب (مثل: ابن رافع)، وقد لا يصرح باسم المؤلف ولا كتابه، ويكتفى بالإشارة البعيدة (ذكر صاحب كتاب رُجار).

جـ- يذكر المقريزي اسم الكتاب المقتبس قبل بداية الاقتباس، وأحيانًا يذكره بعد انتهاء الاقتباس. وفي بعض الأحيان يحدد نهاية الاقتباس بلفظة مشهورة (انتهى)، وقد يضيف إليها ما يزيدها تحديدًا (انتهى من معجم العسقلاني، وانتهى ما قاله أبو محمد بن حزم).

د- بالنظر إلى بعض المواضع، التي حدد المقريزي نقوله فيها من عدد من المصادر المطبوعة بين أيدينا الآن، فقد قمت بتوثيق ما تيسر لي من هذه المواضع، وتبين لي- بعد المقارنة الدقيقة بين ما جاء في (درر العقود) وبعض المصادر الأصيلة التي نقل عنها- أن المقريزي بين أمرين اثنين: إما أن ينقل بالنص نقلاً حرفيًّا لا تصرف ولا تدخل ولا تعديل فيه، أو ينقل - باختصار- المعلومات التي تلزمه مع تغيير في بعض الألفاظ والأساليب. وإليكم عددًا من النماذج الدالة على ما سبق:

* في ترجمة (عبد الرحمن بن محمد بن أبي عبد الله الماكِسيني)[1] التي ذكر أنه اقتبسها من (معجم العسقلاني)[2]، تبين لي أنه نقل عن المصدر المذكور باختصار، حيث حذف بعض المعلومات، مثل: أجاز لي غير مرة، وسمع من ابن أبي التائب وغيره. وقام بتعديل الأسلوب؛ ليعبر عن المضمون بصورة مركزة، حيث ورد في (معجم العسقلاني) قوله: ومن مروياته: (مشيخة عبد الغالب بن محمد الماكسيني)، سمعها منه، فتم تعديلها في (درر العقود) إلى قوله: حدّث عن عبدالغالب بن محمد الماكسيني بمشيخته.

* وفي ترجمة (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن، زين الدين بن

---

(١) درر العقود ٢/ ٢٢٥ (رقم ٥٥٥).

(٢) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر (الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٩٦م) ص٢٥٣ (رقم ١٣٥).

الزَّعْبوب البعلبكي)[1]، أسقط المقريزي ما جاء من ضبط بالحروف للفظة (الزعبوب) في (معجم العسقلاني)[2]، ولم يذكر اسم الكتاب الذي أُسْمِعَه المترجم عَلَى الحجّار، وغيّر عبارة: وأجاز لي من بعلبك غير مرة محتسبًا بها إلى: وكان محتسبًا.

* نقل المقريزي نسب ابن خلدون عن ابن حزم في (الجمهرة) نقلاً حرفيًّا دقيقًا[3]، ونقل نقلاً يكاد يكون تامًّا في بداية التعريف بالمترجم (عبد الله بن محمد ابن أبي بكر العسقلاني)[4]، وكذلك نقل بلفظه تقريبًا عن ابن كثير فيما يتصل بمنارة دمشق الشرقية المقابلة للمنارة الغربية، والتي تختلف عن منارة جامع بني أمية البيضاء الشرقية[5].

* نقل المقريزي عن كتاب (الإحاطة) لابن الخطيب في ترجمة (ابن خلدون)[6]، فكان يتصرف في حدود ضيقة. هذا وقد كشفت المقارنة بين نص (الدرر)، والإحاطة، عن وجود أخطاء في قراءة بعض الكلمات، وقع فيها د. محمود الجليلي محقق (درر العقود)، مثل: صعب العادة، وصوابها: المقادة[7]، وظلل الأصالة، وصوابها: خِلالُ الأصالة[8]. وليلة الميدان الكريم، وصوابها: ليلة الميلاد الكريم[9].

---

(١) درر العقود ٢/ ٢٢٥ (رقم ٥٥٦).

(٢) المجمع المؤسس ص٢٥٤ (رقم ١٣٦).

(٣) راجع: الدرر ٢/ ٣٨٣-٣٨٤ (رقم ٧٢٠) ، ثم قارنه بـ (جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط٥ - ١٩٨٢، دار المعارف بالقاهرة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون) ص ٤٦٠ .

(٤) قارن (درر العقود) ٢ / ٣٤٨ (رقم ٦٧٦) بـ (ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي) للحسيني (ط. دار الفكر العربي. تحقيق: حسام الدين القدسي، د.ت) ص٤٧ .

(٥) البداية والنهاية لابن كثير (ط١ - دار الريان للتراث ١٩٨٨م) جـ١٤ ص٢٠١ (أحداث ووفيات سنة ٧٤١هـ). قارن ذلك بـ (درر العقود) جـ١ ص١٥١ (رقم ٨٧).

(٦) راجع: (المصدر السابق) ٢/ ٣٨٦ - ٣٨٧ ، ٣٩٨، ٤٠٣ (رقم ٧٢٠)، وقارنه بـ (الإحاطة في أخبار غرناطة) لابن الخطيب (ط١ - مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٥م . تحقيق: محمد عبد الله عنان) جـ٣ ص ٤٩٧ - ٤٩٨، ٥٠٧-٥٠٩ .

(٧) درر العقود ٢ / ٣٨٦ ، والإحاطة ٣ / ٤٩٧ .

(٨) درر العقود ٢ / ٣٨٧ ، والإحاطة ٣ / ٤٩٨ .

(٩) درر العقود ٢ / ٣٩٩ ، والإحاطة ٣ / ٥٠٧ .

* نقل المقريزي عن الصَّفَدي بشيء من التصرف والإيجاز. ومن أسف أنه لم يحدد نهاية الاقتباس، وقد تبين لنا أن نهايته تقف عند قوله: وعاد إلى حلب، ثم عاد إلى دمشق[1] . وما بعد ذلك غير موجود لدى الصفدي.

* وأخيراً، نقل عن الإدريسي جملة قصيرة في ترجمة (عثمان بن الحاج إدريس صاحب إحدى مدن بلاد السودان وغيرها) هي أن أهل غانة كان لهم مَلِك من بني صالح بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2] . ووقع المقريزي في الخلط نفسه، فلم يحدد نهاية الاقتباس، ولا وجود لبقية الترجمة بعد ذلك في كتاب (الإدريسي).

هـ- أما بخصوص المكاتبات، فقد استخدمها المقريزي في بعض الروايات، عندما كان يرسل إلى من يتوخى فيه العلم بما يجهله من معلومات وأحداث، فيأتيه الرد مكتوبًا، وكان المقريزي يصوغه بدقة، بحيث إذا كانت المعلومة مباشرة ممن كتب إليه أوضح ذلك، وإن لم تكن كذلك ذكر إسنادها وعمن نقلها، ولذلك قد يضم السند أكثر من طريقة لنقل المعلومات (شفاهةً، وكتابة). وقد لا يصرح المقريزي باسم مورده الذي كتب إليه، ربما لنسيانه إياه، لكنه لا يفوته التوكيد على أنه موثوق به؛ كي يطمئن القارئ إلى مضمون المادة المنقولة عن طريقه.

٣- المشاهدة:

من الموارد التي استخدمها المقريزي - على استحياء- في كتاب (درر العقود) رؤية بعض المترجمين وملازمتهم والوقوف - عن كثب- على سماتهم وأحوالهم، ومشاهدة بعض الأمور الغريبة، ورؤية بعض الأشخاص عن طريق زيارة بلدانهم؛ مما يجعله شاهد عيان على صدق ما يذكر في كتابه، أو على أقل تقدير يقوم بالرواية عمن شاهد الحدث الذي يسجله لنا بقلمه في تراجمه. ومن نماذج ذلك قوله:

---

(١) قارن ما جاء في (درر العقود) ٢/ ٤٥٢ (رقم ٧٦٨) بما جاء في (الوافي بالوفيات للصفدي، ط٢ - طبع دار صادر ببيروت، بعناية: رمزي بعلبكي ١٩٩١م) جـ٢٢ ص٦٨ - ٦٩ .

(٢) درر العقود ٢/ ٤١٩ (رقم ٧٢٣)، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للإدريسي (ط١ - عالم الكتب ببيروت ١٩٨٩م) جـ١ ص٢٣ .

أ- رأيتُه بمكة على طريقة جميلة، واجتمعت به مرارًا، فنعم الرجل دينًا وعلمًا[1] .

ب- اجتمعتُ به بمصر سنة (٨٠٤هـ)، ووردتُ دمشق فلازمني من سنة (٨١٠هـ) إلى سنة (٨١٥هـ)، فوجدتُه ذا معرفة ومروءة[2] .

جـ- ومن غريب ما شاهدتُه (تجربة عملية أجراها المترجم، ورآها المقريزي بنفسه)[3] .

د- أخبرني أخونا في الله الأمير الأجَلّ شهاب الدين أحمد بن طوغان (مسيره مع الأمير سودون في النيل، وغرق أحد الأشخاص، والفشل في العثور على جثته، ثم دفع تيار الماء الجثة، فوصلت بعد ثلاثة أيام أمام باب منزله، فأخرجوها وشهدوا الجنازة)[4] .

هـ- رأيتُ مجذوبًا بدمياط عاري البدن، مكشوف العورة[5] .

و- ذهبتُ لزيارة الشيخ طلحة بمصر، وكان نزيل مصر، ويعد من المجاذيب[6] .

٤- التواتر والشهرة:

وضع المقريزي مقياس (التواتر والشهرة) أساسًا لقبول الأخبار. ودليلنا على ذلك قوله في ترجمة (أحمد بن علي القبائلي): وكان له ولولده أبي زيد عبدالرحمن في الجود والأفضال أخبار، لولا شهرتها ما صُدّقتْ؛ لغرابتها وبعدها عن سِيَر ملوك زمانه[7] . وفي نظري أن هذا المقياس غير دقيق؛ لأنه لا تلازم بين الشهرة والصدق التاريخي، فها هو المقريزي يصف لنا أحد أصحاب تيمور وصفًا يناقض العقل والمنطق وطبائع الأشياء، فيذكر أنه عُمّر ٣٥٠عامًا، لم ينحن ظهره، ولا ظهر تجعيد في وجهه ولا تغيُّر. كأنه يميل إلى صحة ذلك، حيث يقول: وكان عمره هذا شائعًا بين الناس، لا ينكره أحد؛ لإخبار الجمهور عن آبائهم وأجدادهم، أنهم رأوه من دهر وهم أطفال، وهو رجل كبير[8]. هذا، وقد استعمل مؤرخنا التواتر في تعليل بعض

---

(١) درر العقود ١/ ١٢٧ (رقم ٤٦).
(٢) السابق ١/ ١٥٤ (رقم ٩٠).
(٣) السابق ١/ ١٥٦ (رقم ٩٠).
(٤) السابق ١/ ١٧٠-١٧١ (رقم ١٠١).
(٥) السابق ٢/ ٤٧ (رقم ٤٢٨).
(٦) السابق ٢/ ٢٠٠ (رقم ٥٣٣).
(٧) السابق ١/ ٢١٧ (رقم ١٣٩).
(٨) السابق ١/ ٥٥٨ (رقم ٣٧٧).

الأحداث كقوله: تواتر أن سبب اختصاص الظاهر برقوق بأحمد بن أحمد العجمي المجذوب أنه تنبأ له في دمشق بعد خروجه من سجن الكرك بأنه سيملك مصر، وقد كان؛ مما جعله يستدعيه إلى مصر، ويجعله من أهل حضرته[1]. وفي وصف المقريزي لما يقع من ارتكاب للفواحش والمنكرات يوم الاحتفال بالمولد النبوي، قال: فتواتر الخبر أنه وُجد في صبيحة تلك الليلة أكثر من خمسين جَرّة خمر فارغة، إلى غير ذلك من الموبقات، فأرسل الله في اليوم التالي على هؤلاء المنحرفين قاصفًا من الريح، اقتلع خيامهم، وكدّر صفو حياتهم[2]. ورغم أن تواتر الأخبار قد يكون مبعثه الشائعات الفاشية بين عوام الناس؛ مما يشكك -أحيانًا - في صحة الوقائع والأحداث، إلا أن النموذجين السابقين نميل إلى تصديقهما- لا لتواتر الخبربهما- بل لاتفاقهما مع شيوع الاعتقاد من العامة والخاصة في المجذوبين والمتصوفين، وشيوع الانحرافات في الموالد والاحتفالات في مصر على وجه الخصوص.

٥- التعريب:

لعل مؤرخنا المقريزي من القلائل، الذين اقتبسوا مادة معربة عن الفارسية، ضَمّنها في ترجمة (تيمورلنك)، حيث قال: ومما قيل في تيمور بالفارسية ما مُعَرّبه:

قَد أظهر قدرةً بخافي حُكْمِه ... مِنْ مَلَكٍ شِقًّا الدنيا فِي قَسْمِه

لا كَفَّ له والمُلْكُ في خَاتَمِه ... لاَ رِجْلَ لَهُ والبخْتُ موطئ قَدَمِه[3]

ملاحظتان مهمتان:

أ- هناك مواضع عديدة لم يُصرح المقريزي فيها بمصادره التي نقل عنها، واستخدم بدلاً من ذلك موارد مجهولة. ولعله عدل عن التصريح بموارده لأسباب مختلفة، منها: سقوط أسماء موارده وغيابها عنه عند الكتابة[4]، أو الشك في

---

(١) درر العقود ١/ ١٧٩ (رقم ١١٣). (٢) السابق ١/ ٤١٤ (رقم ٣٣٩). (٣) السابق ١/ ٥٥٨ (رقم ٣٧٧).

(٤) كقوله: أخبرني عن بعض معارفه بمكة وسمّاه لي قال: حدثني بعض أصحابي (السابق ٣/ ١٤٥ رقم ١٠٢٩).

مضمون الرواية[1]، أو وجود روايات لها حساسية خاصة، فأراد إعفاء أصحابها من المسئولية والحرج، وفي الوقت نفسه - من وجهة نظره- أراد إزالة الشك في صحة ما يُرْوى عن طريقهم، فوصفهم بأنهم ممن لا يُشَك فيهم، أو ممن لا يُتهمون[2] .

واستخدم في هذه النوعية من الموارد صيغًا وأساليب عديدة، منها قوله: (ذُكِر[3]، وفيما يُذْكر[4]، وقيل[5]، ويقال[6]، وسمعت[7]، وسُمِعَ منه مرة[8]، وبلغني[9]، وبلغنا[10]، وأخبرني من كان له اطلاع على أموره[11]، وأخبرني بدائه الباطن من لا أشك في أخباره[12]، وأخبرني من لا أتهم[13]، وبلغني مما لا أتهم)[14] .

ب- يوجد قطاع كبير من تراجم وأحداث كتاب (درر العقود) خالٍ من كافة الموارد السابقة، وهو ما يتعارض مع المنهج العلمي القويم في توثيق المعلومات. وقد يُعتذر عن ذلك بأن معظم تراجم الكتاب لشخصيات معاصرة للمقريزي، فهو شاهد عيان لشخصيات وأحداث عاصرها، فلا حاجة له إلى ذكر موارده، لكن يُرَدّ على ذلك بأن هناك تراجم لا مورد لها، تخلو من ذكر أي تاريخ، لاسيما تاريخَي المولد والوفاة[15] ، فعن طريقهما نحدد المعاصرة من عدمها، ويحتمل أن يكون بعضها غير معاصر، بالإضافة إلى وجود العديد من الشخصيات غير المعاصرة

---

(١) مثل: يقال: أنه من ذرية أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ (درر العقود ٣/ ٣٥٥ رقم ١٢٩٧)، ونلاحظ أنه لم يورد نسبه مطولاً وفي نهايته الصحابي المذكور، فهو ادعاء أقرب إلى الكذب منه إلى الصدق، أو أقل ما يوصف به أنه لا دليل عليه.

(٢) كقوله: أخبرني من لا أتهم . السابق ١/ ١٥٥ (رقم ٩٠)، وأخبرني بدائه الباطن من لا أشك في أخباره . السابق ١/ ٤٩٣ (رقم ٣٧٤).

(٣) السابق ١/ ٨٧ (رقم ٣١).

(٤) السابق ١/ ١٠٥ (رقم ٣٥).

(٥) السابق ١/ ١٠٨ (رقم ٣٦).

(٦) السابق ١/ ١٤١ (رقم ٧٠).

(٧) السابق ٢/ ١٠٣ (رقم ٤٩١) .

(٨) السابق ١/ ١٤٨ (رقم ٨٦).

(٩) السابق ٣/ ٣٥٦ (رقم ١٢٩٧).

(١٠) السابق ٣/ ١٠٩ (رقم ٩٩٧).

(١١) السابق ١/ ١٠٦ (رقم ٣٥: ترجمة إبراهيم بن عبد الله الوزير أحد مسلمة القبط، الذي أخبر من اطلع على أموره أنه كان في باطن أمره نصرانيًا يدين بالنصرانية).

(١٢) السابق ١/ ٤٩٣ (رقم ٣٧٤).

(١٣) السابق ١/ ١٥٥ (رقم ٩٠).

(١٤) السابق ٢/ ٢٨٧ (رقم ٦٠٩).

(١٥) السابق ١/ ١٤٥ (رقم ٧٩).

صراحة[1] ؛ مما كان يتطلب ذكر موارد تراجمها، أو المصدر الوسيط المنقولة عنه[2] ، لاسيما أن المقريزي يتخفف عامدًا من ذكر الموارد التي نقل عنها فعليًّا[3] .

رابعًا : الدقة والربط بين التراجم :

من أهم ملامح المنهج العلمي الصحيح توخي الدقة في جمع المادة العلمية، وتنظيمها، وتحليلها، والاستنتاج منها، ثم صياغة النتائج بلغة دقيقة صحيحة. وقد لمسنا بعض مظاهر دقة المقريزي عند تناولنا البناء العام لتراجم كتابه (درر العقود)، وكذلك عند دراستنا المفصلة لموارده الثريّة المتنوعة. وفي هذه الجزئية الجديدة نركز على نمطين مهمين من أنماط الدقة لديه: مدى دقته في تأريخ الأحداث، وضبط مراحل حياة مترجميه بالتوقيت، وطريقته في الربط بين تراجم كتابه ربطًا موضوعيًّا.

١- من حيث التوقيت : استخدم مؤرخنا المقريزي طرقًا وأساليب متعددة في هذا الصدد على النحو الآتي:

أ- ذكر تاريخ المولد والوفاة، وبعض التفاصيل الأخرى أحيانًا :

حدد المقريزي مولد (إبراهيم بن محمد بن بَهَادُر) بالسنة، وقُرْبَ نهاية الترجمة حدد تاريخ وفاته باليوم والشهر والسنة[4] ، وقد يذكر تاريخ الوفاة تفصيلاً ومكانها،

---

(١) درر العقود ١/ ١٢٣ (رقم ٤٠): توفى سنة ٧٦١هـ. وكذلك ١/ ١٢٣-١٢٤ (رقم ٤٢): توفى سنة ٧٦٠هـ. وكذا ١/ ٢٦٧ - ٢٦٨ (رقم ١٧٤): ت ٧٦٣هـ، وأيضًا ١/ ٣٠٧- ٣٠٨ (رقم ٢١٨) : ت ٧٦١هـ، ٢/ ٨٤ - ٨٥ (رقم ٤٦١): ت سنة ٧٦١هـ، وغير ذلك كثير.

(٢) ترجمة (صالح بن إبراهيم الحنفي ت ٧٦٨هـ). قال المقريزي: حدثنا عنه ابن سُكّر. السابق ٢/ ١٨٩ (رقم ٥١٦). وكذلك ترجمة (عائشة أم الهدى بنت الخطيب تقي الدين ت ٧٦٤هـ). قال المقريزي: حدثنا عنها شيخنا أبو عبد الله محمد بن سكر. (السابق ٢/ ٢٠٢ رقم (٥٣٥).

(٣) لا ريب أن للمقريزي موارد نقل عنها ما يتصل بترجمة أحد ملوك الروم وتواريخ مملكته الواردة في ترجمة (القاضي برهان الدين حاكم قيصرية وغيرها)، لكنه لم يذكرها؛ ظنًّا أن القارئ في عصره مُلِمّ بها (السابق ١/ ٢٠٧-٢١١ رقم ١٢٨). ونلاحظ كثرة تراجم ملوك المغرب وعلمائه في (درر العقود)، ولا شك أن مؤرخنا نقل ذلك عن مصادر مغربية، مثل : (العبر) لابن خلدون، لكنه لم يشر إلى ذلك (راجع: السابق ٣/ ٢١٢ - ٢١٤ رقم ١١٢١).

(٤) ولد سنة ٧٤٥هـ، ومات في ثامن عشري ذي الحجة سنة ست عشرة وثمانمائة. (السابق ١/ ٦٣ رقم١).

ويذكر تاريخ الميلاد بطريقة غير مباشرة عن طريق ذكر عمر المترجم الذي توفى عنه[1]، وربما يذكر المولد بالتفصيل، ومكان الوفاة وزمانها تفصيلاً، ومكان الدفن[2]. وأحيانًا يذكر الظروف المصاحبة للوفاة واللاحقة بها[3]، أو السبب المفضي إلى الموت[4].

ب- الاكتفاء بذكر تاريخ الميلاد، أو الوفاة:

في ترجمة (إبراهيم بن علي بن محمد المكي) اكتفى المقريزي بذكر تاريخ ميلاده (٧٧٧هـ)[5]، وفي ترجمة (إبراهيم بن خليل بن عبد الله الشرائحي) لم يذكر سوى وفاته (في النصف من المحرم سنة ٧٩٥هـ)[6]. وتجدر الإشارة إلى أن المقريزي لم يتبين له - في بعض التراجم- تاريخ الميلاد تحديدًا، فكان يذكره بالتقريب[7]، أو يذكر تاريخين للميلاد قريبين دون أن يرجح أحدهما على الآخر[8].

جـ- توقيتات أخرى متعددة:

لم يقف المقريزي عن حد ذكر تواريخ المولد والوفاة في كتابه، ولكنه عُني بتوقيت كثير من الأحداث، منها: الفترة الزمنية التي استغرقها المقريزي في سماع الحديث على أحد المترجمين[9]، وتاريخ آخر مجلس من المجالس الأربعة التي سمع فيها الإمام العلاّمة أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد البعلبكي مسند عبد بن حُميد بقراءة الإمام ابن حجر[10]، وتاريخ المحنة التي تعرض لها الواعظ إبراهيم بن علي

---

(١) مات بمكة ليلة التاسع من ذي الحجة سنة ٧٧٩هـ عن نحو ٩٠ سنة. (درر العقود ١/ ٦٦ رقم ٤).

(٢) ولد ليلة الأحد والعشرين من شهر صفر سنة ٧٢٦هـ، وتوفى بمكة ليلة الجمعة العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ٧٨١هـ، ودُفِنَ بالمَعْلاَة. (السابق ١/ ٧٣ رقم ١٤).

(٣) مات وهو عائد من الحج والمجاورة، فحُمل إلى المويلحة، وغُسِّل وكُفِّن وصُلِّى عليه، وحُمِل إلى عيون القصب، فدُفن على ممر الحاجّ (السابق ١/ ٨٠ رقم ٢٣).

(٤) أهان المؤيد شيخ المترجم، فلزم بيته بالقاهرة حتى وفاته (السابق ١/ ٦٣ رقم١)، وآخر مات بعد مرض طويل (السابق ١/ ٢٩١ رقم ٢٠٢).

(٥) السابق ١/ ١٢٧ (رقم ٤٦).

(٦) السابق ١/ ٦٧ (رقم ٦).

(٧) السابق ١/ ٧٤ (رقم ١٥: ولد سنة ٧٢هـ تخمينًا).

(٨) كما في ترجمة (إبراهيم بن أحمد الشافعي)، حيث قال: ولد سنة ست أو سبع وسبعين وسبعمائة (السابق ١/ ٦٨ رقم ٧).

(٩) من سنة ٧٨٣هـ إلى سنة ٧٩٧هـ (السابق ١/ ٨٤ رقم ٣٠).

(١٠) تاريخ هذا المجلس: ٢٥ من جمادى الأولى سنة ٧٩٧هـ. (السابق ١/ ٨٤ رقم ٣٠).

الشامي[1]، وتاريخ بدء عمل أمين الدولة إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سلمان كاتبًا بديوان الإنشاء بدمشق[2]، وتاريخ ولاية أحد المترجمين قضاء الحنابلة بديار مصر[3]، وتاريخ سجن الملك الظاهر برقوق بالكَرَك[4]، وتاريخ معركة دارت رحاها بين تيمورلنك والأتراك، هلك فيها غالب جيش الترك[5]، وتاريخ بداية مرض الموت الذي نزل بالسلطان برسباي[6]، وتاريخ وفاة هولاكو[7]، ومدة خلع السلطان السعيد محمد بن عبد العزيز المريني صاحب مدينة فاس وبلاد المغرب[8] .

ملاحظتان مهمتان:

أ- لوحظ - في بعض التراجم- إغفال المقريزي ذكر أيّ من تاريخَي المولد والوفاة للمترجَم دونما تعليل لذلك[9]، اللهم إلا أن يكون مؤرخنا لم يقف على تلك التواريخ، وثمة نوعية أخرى من الشخصيات المترجم لها لم يذكر المقريزي تواريخ وفياتهم؛ نظرًا لكونهم لا يزالون على قيد الحياة، وماتوا بعده[10] .

---

(١) درر العقود ١/ ١٠٧ (رقم ٣٦: سنة ٧٨١هـ). (٢) السابق ١/ ١٢٣ (رقم ٤٠: سنة ٧٢٩هـ).

(٣) السابق ١/ ١٢٦ (رقم ٤٥: ٢٢ شعبان سنة ٧٩٥هـ). (٤) السابق ١/ ١٦٣ (رقم ٩٦: سنة ٧٩١هـ).

(٥) السابق ١/ ٤٤٩ (رقم ٣٥٨): استمرت المعركة من ضحوة نهار الأربعاء ٢٧ من ذي الحجة سنة ٨٠٤هـ إلى وقت العصر، بما يوافق ثامن عشري تموز.

(٦) السابق ١/ ٤٧٩ (رقم ٣٦٤: ليلة الثامن عشر من شهر رجب سنة ٨٤١هـ).

(٧) السابق ١/ ٤٩٦ (سنة ٦٦٣هـ). (٨) السابق ٣/ ٣٠١ (رقم ١٢٣٥): مدة ٣٨ سنة، و٧ أشهر.

(٩) مثل: ترجمة (إبراهيم شيخ الدَّرَبَنْدي) في (السابق ١/ ١٢٨-١٢٩ رقم ٤٩)، و(أبي بكر بن أبي المعالي اليماني) في (السابق ١/ ١٤٥ رقم ٧٩)، و(أحمد بن إبراهيم القوصي) في (السابق ١/ ٣٨٤ رقم ٣١١).

(١٠) مثل: ترجمة (تجار بنت ناصر الدين محمد المصري) في السابق (١/ ٤٩١ رقم ٣٧٢) حيث ترك المقريزي مكان تاريخ موتها بياضًا. وبالرجوع إلى (الضوء اللامع) للسخاوي ١٢/ ١٦ (رقم ٨٤)- كما أشار المحقق في حاشية رقم ٣- تبين أنها توفيت بعد المقريزي بسنوات ثلاث (٨٤٨هـ)، لكن لماذا انفرد المقريزي في هذه الترجمة دونما سيأتي من نماذج لاحقة- بالإشارة إلى أنها ماتت؟! والجواب: لعله ظنها كذلك، ثم لم يسعفه الوقت لتحقيق الأمر، فتُرك المكان فارغًا. أما النماذج الأخرى التالية، فقد ورد في ثناياها ما يفيد أن أصحابها لا يزالون في عداد الأحياء، كقوله في ترجمة (عبد الرحمن بن أحمد الدمشقي المقرئ): وهو - الآن- مقرئ الحجار (درر العقود ٢/ ٢٥٣ رقم ٥٨). وبالرجوع إلى ترجمته في مصدر تاريخي متأخر، تبين لي وفاته سنة ٨٥٣هـ. (نظم العقيان في أعيان الأعيان للسيوطي. تحرير: د. فيليب حتّي ١٩٢٧م) ص ١٢٣ (رقم ٩٩). وكذلك قول المقريزي في ترجمة (محمد بن يحيى بن عبد الرحمن المغربي) ٣/ ٨٧ رقم ٩٦٦: أخبرني (أدام الله النفع به). وعدتُ إلى ترجمته في (الضوء اللامع) ١٠/ ٧٤ رقم ٢٥٢، لكنه لم يذكر تاريخ وفاته، وإن أشار إلى أنه عاد إلى وطنه سنة ٨١٢هـ، أو بعدها بقليل. ويبدو أن أخباره=

ب- ثمة شخصيات ترجم لها المقريزي، لكن وقعت منه هَنَاتٌ في التواريخ المذكورة في بعض التراجم، فمثلاً: جعل ميلاد (ابن قاضي شهبة) سنة ٧٨٩هـ[١]. والصواب: أنه ولد سنة ٧٧٩هـ[٢] . وهناك خطأ بيِّن في تاريخ وفاة (عائشة أم الهدى بنت الخطيب تقي الدين)؛ إذ جعل المقريزي وفاتها سنة ٨٦٤هـ[٣]، أي: بعد وفاة المقريزي نفسه بتسعة عشر عامًا! وثمة خطأ واضح - أيضًا- في تاريخ ميلاد (عبدالرحمن بن علي بن محمد بن هارون المعروف بابن القارئ)، حين جعله سنة ٧٩٤ أو ٧٩٥هـ[٤]، بينما اتفق أكثر من مصدر مع المقريزي في (الدرر) على أن وفاته سنة ٧٧٦هـ[٥]، وللأسف لم أقف على مولده الصحيح، ولعله سنة ٦٩٤ أو ٦٩٥هـ، فتكون ستمائة حرفت إلى سبعمائة. وأيضًا أخطأ المقريزي عندما جعل ميلاد أحد المترجمين سنة ٦٠٩هـ، وذكر أن عمره بلغ ٨٦سنة، وكانت وفاته سنة ٧٧٢هـ[٦] . وإذا كان تاريخ وفاته وعمره صحيحًا[٧]، فالخطأ - إذن- في تاريخ الميلاد، الذي يجب أن يكون سنة ٦٨٦هـ.

٢- **الربط بين التراجم**: حاول المقريزي إيجاد قدر مقبول من الترابط بين بعض التراجم؛ تجنبًا للإطالة والتكرار[٨] . هذا، وقد سلك في سبيل ذلك مسالك شتى، منها: الإشارة العامة غير المحددة كقوله قرب نهاية ترجمة (إبراهيم بن

= انقطعت عنه بعد ذلك، وفي ترجمة (يحيى بن أحمد بن عمر التنوخي) في (درر العقود ٣/ ٥٣٣ رقم ١٤٣٩) قال المقريزي: أمتعنا الله ببقائه. وقد أكد السيوطي وفاته بعد المقريزي (٨٥٣هـ) في ترجمته إياه (نظم العقيان ص ١٧٦ رقم ١٩٤).

(١) درر العقود ١/ ١٤٠ رقم ٦٨ .

(٢) الضوء اللامع ١١/ ٢١ (رقم ٦١)، ونظم العقيان ص ٩٤ (رقم ٥١).

(٣) درر العقود ٢/ ٢٠٢ (رقم ٥٣٥).

(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٥٥ (رقم ٥٨٥).

(٥) السلوك جـ٣، القسم الأول ص ٢٤٧، وإنباء الغمر لابن حجر ١/ ٨٦ (رقم ٤٤).

(٦) درر العقود ٢/ ٤٤٧-٤٤٨ (رقم ٧٥٧: ترجمة عمر بن الحسن بن محمد . . . بن الفرات).

(٧) راجع (تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، وفيات سنة ٧٧٢هـ)، المجلد الثالث، الجزء الثاني ص ٣٩٢ .

(٨) ودليلنا على ذلك قوله في ترجمة (شيخ المحمودي): قبض تيمور على أمراء حلب، وفعل في مدينة حلب وأهلها ما شُرح في موضعه. . . ولما نزل تيمور على دمشق، فر الملك الناصر وعساكره إلى مصر على ما قد ذُكر في ترجمته. (درر العقود ٢/ ١٢٧ رقم ٥١٥).

عبدالرحيم بن محمد الحموي: وسَيرد من مناقبه في هذا الكتاب طَرَف في تراجم مَنْ رويتها عنه، إن شاء الله (تعالى)[1] . وقد يذكر المقريزي الإحالة محددة واضحة، مثل: وقد ذكرتُ أباه، وأخاه في مواضعهما من هذا الكتاب[2]، وذكرتُ- في هذا الكتاب، أباه أحمد، وعمه عليًّا، وجَدّه[3]، وكذلك قوله: نعم الرجلُ كان، وسيأتي ذكر أبيه، وأخيه[4]. وفي ترجمة (عبد العزيز بن برقوق) قال: فلما فَرّ أخوه الملك الناصر فرج - كما مَرّ في ترجمته- بادر الأمير إلى قلعة الجبل يوم الأحد الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمان وثمانمائة بعد صلاة الظهر[5] .

ملاحظتان:

أ- لم يكتف المقريزي بالإحالة على بعض تراجم كتابه (درر العقود)، وإنما اقتضته الرغبة في الاقتصار على ذكر الجديد - أحيانًا- للإحالة على مواضع في مؤلفات أخرى له، بعضها مطبوع بين أيدينا[6]، والآخر غير موجود يغلب على الظن أنه مفقود[7] . وقد رجعتُ إلى ما تيسر لي من المصادر المطبوعة المحال عليها، وتبين لي أنه دقيق إلى حد كبير[8] .

---

(١) درر العقود ١/ ٩١ (رقم ٣١).

(٢) السابق ١/ ٢٧٥ (ترجمة أحمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أبي الوفاء الشاذلي رقم ١٨٩). وقد صدق المقريزي، فترجم لأخي المترجم عليّ في (السابق ٢/ ٤٧٣-٤٧٤ رقم ٧٩٦)، وترجم لوالده في (السابق ٣/ ٤١٣-٤١٤ (رقم ١٣٥٧). وكان الأصوب أن يقول المقريزي: وسأذكر؛ لأن ترجمتهما وردتا متأخرتين.

(٣) السابق ٢/ ٢٢٩ (ترجمة عبد الرحمن بن أحمد بن محمد المعروف بـ وفاء السكندري رقم ٥٥٨).

(٤) السابق ١/ ٣٦٥ (رقم ٢٨٤). وجدتُ ترجمة أبيه (محمد بن محمد بن سعيد الهندي) في (السابق) ٣/ ١٦٧-١٦٨ (رقم ١٠٦١)، وترجمة أخيه (محمد بن محمد بن محمد بن سعيد الهندي) في (السابق ٣/ ١٧٠ رقم ١٠٦٦).

(٥) السابق ٢/ ٢٩٢-٢٩٣ (رقم ٦١٠). عدتُ إلى ترجمة الملك الناصر فرج بن برقوق في (السابق ٣/ ١٧-١٨ رقم ٩٠٠)، فلم أجد ذكرًا للنص المشار إليه بالمتن!

(٦) مثل: (إمتاع الأسماع) الجزء الأول، و(الخطط) للمقريزي.

(٧) كتاب (المدخل) الذي أحال عليه المقريزي عند إشارته إلى قبيلة طيء وأنسابها (درر العقود ٣/ ٥٠٩ رقم ١٤٢٥). ويبدو أنه كتاب في (أنساب القبائل العربية).

(٨) في ترجمة (فتح الله بن معتصم التبريزي القاضي كاتب السر) في (السابق ٣/ ١٧ رقم ٨٩٩) قال المقريزي عنه: وله بالقاهرة دار بديعة البناء، وله تُرْبة خارج القاهرة، قد ذكرتُهما في كتاب (الاعتبار بذكر الخطط=

ب- لوحظ وقوع تكرار معيب في بعض تراجم كتاب (درر العقود)[1]، وليس أمامي تفسير قاطع لذلك، لكنني - ومن خلال معرفتي بمنهج المقريزي- يغلب على ظني أن التراجم المكررة كانت مسودات ينوي الرجوع إليها عند مراجعة الكتاب؛ لمزيد من التنظيم والتنقيح، لكنه لم يتمكن من ذلك، أو أن يكون التكرار نابعًا من نُسَّاخ مخطوطات الكتاب، وإن كنتُ أرجح الاحتمال الأول؛ لأن التراجم المكررة ليست متوالية، بل هي متباعدة في أماكنها بالكتاب.

خامسًا: الاهتمام بإبراز الجوانب الحضارية:

فهم مؤرخنا المقريزي التاريخ فهمًا شاملاً دقيقًا، فلم يقتصر في تراجمه على الشخصيات ذات الطابع السياسي، ولم يقف في سرد الأحداث عند الوقائع والحروب، وقيام الدول وسقوطها، وإنما تطرق من خلال التراجم والأحداث إلى الجوانب السياسية والمناصب الإدارية، والنواحي الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. وسوف أكتفي - في هذا المقام- باستعراض بعض النماذج المعبرة عما سبق كما يلي:

١- النواحي السياسية والإدارية:

(الأوضاع السياسية وأثرها في تولية وعزل القضاة[2] - التدرج في تولية

= والآثار)، وذكرتُه هو في كتاب (التاريخ الكبير المُقَفَّى). وبالرجوع إلى كتاب (الخطط، نشر: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت) جـ٢ ص٦٢-٦٣، وجدتُ تفاصيل ما أشار إليه في (درر العقود). ولم أجد لفتح الله كاتب السر ترجمة في المنشور من (المقفى). وفي ترجمة (يَلْبُغا السالمي) في (درر العقود) ٣/ ٥٤٣ قال المقريزي: جرت له ولجماعة من الصوفية خطوب، قد ذكرتها عند ذكر (الخوانق) من كتاب (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار). وبالعود إلى الكتاب المذكور ٢/ ٤١٥-٤١٦، تبين لي أن الإحالة دقيقة والمادة المشار إليها موجودة تحت عنوان: (في الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء). وفي بداية ترجمة (ثابت بن نُعَيْر) في (درر العقود) ١/ ٥٦٠ (رقم ٣٧٨) ذكر علاقة اليهود بـ (يثرب)، وسبقهم الأوس والخزرج في النزول إليها، لكن الأخيرين غَلبوا عليها، وأحال على كتابه (إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأخوال والحفدة والمتاع)، لكني لم أعثر على تلك المعلومات في الجزء الأول المطبوع منه.

(١) وردت ترجمة (أبي بكر بن محمد بن أحمد المعروف بابن الحبال) في (درر العقود) ١/ ١٣٨ رقم (٦٣) بصورة أوفى مما وردت عليه شبه مكررة ١/ ١٤٦ (رقم ٨٣)، ووردت ترجمة (أحمد بن محمد بن محمد القاضي المالكي) في (المصدر السابق) ١/ ١٦١-١٦٢ (رقم ٩٥)، وتكررت في (السابق) ١/ ٣٥٢-٣٥٣ (رقم ٢٦٣-٢٦٤ كما ذكر المحقق خطأ في هامش ٢ ص١٦١). ويلاحظ أن النسب مطول في الترجمة الثانية، وإن كانت الترجمتان متقاربتين.

(٢) السابق ١/ ٩٠-٩١ (رقم ٣١).

الوظائف الإدارية[1] - كثرة التنقل والتولية والعزل من المناصب المختلفة (مثل: كاتب السر، ومباشرة ديوان الإنشاء، والوزارة، وغيرها)[2] - ملازمة الجلوس بحوانيت الشهود لتحمل الشهادات، وتقرب أحد المترجمين من كاتب السر حتى ولاّه توقيع الدَّرْج[3] - مترجم آخر صار أحد مُوَقِّعي الدَّسْت[4] - صيغة جديدة كُتبت عن السلطان في مخاطبة قاضي القضاة بمصر، ثم تعميمها بعد ذلك[5] - إمارة مكة بالمشاركة[6] - وظيفة شاهد ديوان الجيش بحلب[7] - وظيفة شاهد المطبخ السلطاني[8] - شيخ الفراشين بالمسجد الحرام[9] - مقومات متولي إمرة الحج ومعالم السياسة الناجحة في مواجهة العُرْبَان[10] - نظام الحكم بالحجاز وصلة أمرائه بالمماليك[11] - سيطرة زوجة السلطان خليل بن أميران شاه سلطان سمرقند وغيرها على شئون الدولة[12] - ولاية نقابة الأشراف[13] - منصب شيخ الغزاة[14].

---

(١) درر العقود ١/ ١٠٤ (رقم ٣٥).

(٢) السابق ١/ ١٢٤ (رقم ٤٢). كاتب السر: هو كاتم سر السلطان أو الملك، ويوقّع على الشكاوى بدار العدل وغيرها، ويجلس على يسار السلطان بالدار المذكورة. ومن مهامه أيضًا: قراءة الرسائل على السلطان، وتَلَقِّي أخبار الممالك وعرضها عليه، وتَوَلّى الإجابة عنها، إلى غير ذلك من وظائفه العديدة. (صبح الأعشى ٤/ ٢٩، ٤٤، ١١/ ٩٢-٩٣).

(٣) درر العقود ١/ ١٥١ (رقم ٨٨) . موقعو الدرج: هم الكتّاب الذين يكتبون ما يوقع به كاتب السر، أو النواب، أو الوزراء، وغيرهم من مكاتبات وتقاليد ومراسيم ونحوها. وسُمُّوا كُتَّاب الدرج؛ لأنهم يكتبون في دروج الورق. والمراد بالدرج في العرف العام: الورق المستطيل المركب من عدة أوصال متلاصقة، تصل إلى عشرين وصلاً. (صبح الأعشى ١/ ١٣٨).

(٤) درر العقود ١/ ١٥٤ (رقم ٨٩) مُوَقّع (كاتب) الدست: في الطبقة الأولى من كتّاب ديوان الإنشاء، ويجلس هو وزملاؤه مع كاتب السر بمجلس السلطان في دار العدل على ترتيب منازلهم، ويقرأون الشكاوى على السلطان بعد قراءة كاتب السر، ويوقعون عليها. وسموا بذلك؛ لمكانتهم لدى السلطان، حيث يكتبون بين يديه. (صبح الأعشى١/ ١٣٧).

(٥) درر العقود ١/ ١٦٣-١٦٤ (رقم ٩٦: الجناب العالي بدلاً من المجلس العالي).

(٦) المصدر السابق ١/ ٢٤٩ (رقم ١٦٠)، ٣٢٠-٣٢١ (رقم ٢٣٠).

(٧) السابق ١/ ٢٩٠ (رقم ٢٠١).

(٨) السابق ١/ ٢٩٦ (رقم ٢١٣). والشاهد هو الذي يشهد بمتعلقات الديوان المستخدم به نفيًا وإثباتًا. (صبح الأعشى ٥/ ٤٦٦).

(٩) درر العقود ١/ ٣٤٦ (رقم ٢٥٦).

(١٠) المصدر السابق ١/ ١٣٣ (رقم ٥٨).

(١١) السابق ٢/ ١٧ وما بعدها (رقم ٤٠٧).

(١٢) السابق ٢/ ٧٥ (رقم ٤٥٢).

(١٣) السابق ٢/ ٥١٨ (رقم ٨٢٨).

(١٤) السابق ٣/ ٤٤٥ (رقم ١٣٨٣).

٢- النواحي الاقتصادية:

(سماسرة الغلال بساحل بولاق خارج القاهرة[١] - علاقة أمير مكة أحمد بن عجلان بالتجار وإصلاحاته الضريبية الجيدة[٢] - السلطان بايزيد العثماني ومنع جباية المكوس من التجار في جميع أنحاء مملكته، ورخص الأسعار بها خاصة لحوم الضأن، حيث يباع ستة أرطال منها بدرهم[٣] - منشآت عمرانية بظاهر دمشق، وارتفاع الأسعار وارتباط ذلك بالتخبط في سعر صرف الدينار[٤] - مقدار الضرائب المفروضة على بساتين الغوطة كلها وغيرها[٥] - إلزام الناس بعمارة ما خُرب داخل سور دمشق من الأملاك والأوقاف والمدارس وغيرها[٦] - زيادة رواتب الخلفاء العباسيين بمصر زمن المماليك بعد أن أتى عليهم وقت عانوا فيه قلة المال[٧] - أنواع الضرائب المفروضة على قبيلة كتامة في عهد بني مرين والهدف منها[٨] - طريقة استنباط الماء في إحدى مناطق المغرب[٩] - الاهتمام بالإشراف على معدن النحاس في تِلمسان[١٠] - بيع الخبز بالحوانيت واختفاؤه عند غلاء الأسعار[١١] - مقدار النفقات السنوية لأحد كُتّاب السر في عصر المماليك، ومقدار ما صودر من أمواله بعد وفاته على يد المؤيد شيخ)[١٢] .

٣- النواحي الاجتماعية:

(عادة اجتماعية مشهورة: فتح المصحف لأخذ الفأل منه[١٣] - ما يُخْلَع من

---

(١) درر العقود ١/ ٢١٩ (رقم ١٤٠).
(٢) السابق ١/ ٣٢٥ (رقم ٢٣٠).
(٣) السابق ١/ ٤٥٢ (رقم ٣٥٨).
(٤) السابق ٢/ ١٣٢ (رقم ٥١٤).
(٥) السابق ٢/ ١٣٩ (رقم ٥١٥).
(٦) السابق ٢/ ١٥٩ (رقم ٥١٥).
(٧) السابق ٢/ ٢١٠ (رقم ٥٤٤).
(٨) السابق ٢/ ٢٧٠ (رقم ٦٠٨).
(٩) السابق ٢/ ٤٠٨ (رقم ٧٢٠).
(١٠) السابق ٢/ ٤٠٩-٤١٠ (رقم ٧٢٠).
(١١) السابق ٣/ ٧٥ (رقم ٩٥٣).
(١٢) السابق ٣/ ١١٦ (رقم ١٠٠٠).
(١٣) السابق ١/ ٧٩ - ٨٠ (رقم ٢٣). وفيه أن المترجم فعل ذلك لما عُرض عليه منصب القضاء، فإذا به يفتح على قوله تعالى: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ (سورة يوسف: ١٢/ من الآية ٣٣) فاختفى على الفور إلى أن ولوا غيره.

السلطان على الوزراء والقضاة من الخِلَع[1] (الملابس)- زي كاتب السر[2]، وزي الأمراء والأجناد، وزي الفقراء الصوفية[3] - عقوبات الضرب والسجن والخنق في عصر المماليك[4] - ارتقاء أحد الصوفية- وهو جالس مع جماعة في خلوته- عند سقف الحجرة، وقوله وهو على تلك الحالة: ليس هذا عن صلاح، إنما هو عن علم[5] - من العادات الاجتماعية الهندية عند وفاة الأشخاص[6] - احتفالات ملوك الهند بعد الإسلام سنويًا بذكرى وفاة الرسول ﷺ، وجماعة من آل البيت، وبعض الصحابة، وطائفة من الشيوخ[7] - عادة تقبيل الأرض، وتقبيل يد السلطان في عهد برسباي سلطان المماليك[8] - مظاهر إنعام الظاهر برقوق وهداياه الكثيرة إلى الأمير سيف الدين تغري بردي[9] - مظاهر الاحتفالات العارمة بعودة تيمورلنك إلى بلاده بعد غزواته الخارجية[10]، ومراسم العزاء بعد وفاته[11] - مظاهر الإسراف والبذخ من قبل الناصر محمد بن قلاوون استعدادًا لاستقبال مولوده صالح، ومظاهر الاحتفال به بعد ولادته، ومراسم استقبال صالح وهو سلطان، وطقوس صلاة العيد في عهده، ومراسم عمل كسوة الكعبة، وإشراف بعض رجال دولته على ذلك[12] - بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في مصر المملوكية من وجود الحمَّامات العامة، وما بها من أحواض وأنابيب مياه، وروادها من التجار وغيرهم، وما يجرى بها- أحيانًا- من وسائل الاحتيال والخداع[13] - قيام الوزير مَنْجَك اليوسفي أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون ببعض الإصلاحات الاجتماعية والأخلاقية المرتبطة بالمرأة في عصر المماليك، ومكانة الفقهاء في مجتمع المماليك، وأهمية الفتوى في ذلك العصر[14] - رد فعل العامّة والصبيان إزاء حائط أُشيع أنه يتكلم[15] - خطورة الشائعات على المجتمع)[16] .

---

(١) درر العقود ١/ ١٠٤ (رقم ٣٥).
(٢) المصدر السابق ١/ ١٨٢ (رقم ١١٦).
(٣) السابق ١/ ١٨٤ (رقم ١١٨).
(٤) السابق ١/ ١٩٣ (رقم ١٢٢).
(٥) السابق ١/ ٢٠٧ (رقم ١٢٧).
(٦) السابق ١/ ٢٧٩ (رقم ١٩٥).
(٧) السابق ١/ ٢٨٣-٢٨٥ (رقم ١٩٥).
(٨) السابق ١/ ٤٦٢ (رقم ٣٦٤).
(٩) السابق ١/ ٤٩١ - ٤٩٢ (رقم ٣٧٣).
(١٠) السابق ١/ ٥٣٩-٥٤٢ (رقم ٣٧٧).
(١١) السابق ١/ ٥٤٨ (رقم ٣٧٧).
(١٢) السابق ٢/ ١٩١-١٩٣ (رقم ٥٢٠).
(١٣) السابق ٢/ ٤٤٠-٤٤١ (رقم ٧٤٤).
(١٤) (السابق ٣/ ٤٢٤-٤٢٥ (رقم ١٣٦٥) .
(١٥) السابق ٣/ ٤٥٤ - ٤٥٦ (رقم ١٣٩١).
(١٦) السابق ٣/ ٥٧٨ (رقم ١٤٦٦).

٤- الجوانب الثقافية:

(نموذج من مناقشات العلماء حول واقع مجتمعهم وما فيه من مظالم[١] - سعي بعض العلماء إلى وظائف التدريس بالمدارس المتعددة الموجودة في عصر المماليك ودور الوساطات في تحقيق ذلك[٢] - مجلس السلطان المؤيد شيخ الأسبوعي مع فقهاء دولته[٣] - رعاية الحركة الثقافية باليمن في عهد السلطان الناصر (اهتمامه بالأجناس الأدبية المختلفة، وما أمر به من مؤلفات وشروح، وميله إلى الصوفية في صراعهم مع الفقهاء)[٤] - وضع أحد المترجمين كتابًا في السيرة النبوية بلغ ثمانين سفرًا، وقيامه بوعظ الناس بالجامع الأزهر[٥] - قراءة الحديث النبوي وغيره من العلوم الشرعية على سبيل الوعظ، وتعليم العامّة أمر دينهم[٦] - مناظرات بين الفقهاء ومناقشات بين يدي تيمورلنك عن الفتنة الحادثة زمن الصحابة[٧] - عريف الأيتام بالكُتّاب، وتنازل بعض الطلاب بالمدرسة عن موضعه بها لآخر مقابل سبعمائة درهم[٨] - تأديب الأطفال في بلبيس، ثم إمامة الجامع الأزهر[٩] - تدريس علوم كثيرة مفيدة بعبارة فصيحة بليغة، وصوت عالٍ، وأسلوب عجيب قريب من سمت ابن تيمية في سجيَّة كلامه، فبُهِرَ به طلاب العلم المصريون والشوام، لحسن إيراده وإصداره، مع تأدب وتودد حسن[١٠] - إقراء الأطفال بغير أجرة، وكتابة شرح كبير على مسند الإمام أحمد بن حنبل، قرئ عليه بجامع بني أمية بدمشق[١١] - الإقامة بالأرياف مدة لتعليم الناس، ثم الانتقال إلى مدينة مصر[١٢] - عمل المواعيد (مجالس الذكر والوعظ)[١٣]، ومجالس سماع الحديث النبوي وختم صحيح

---

(١) درر العقود ١/ ٢٤٨ (رقم ١٥٩).

(٢) السابق ١/ ٢٥٥ (رقم ١٦٢).

(٣) السابق ١/ ٢٦٧ (رقم ١٧٣).

(٤) السابق ١/ ٣٣٧-٣٣٨ (رقم ٢٤٣).

(٥) السابق ١/ ٣٨٥ (رقم ٣١٥).

(٦) السابق ١/ ٤٠٨ (رقم ٣٣٧).

(٧) السابق ١/ ٥٢٩ - ٥٣٠ (رقم ٣٧٧).

(٨) السابق ٢/ ٣٧٧ (رقم ٧١٢).

(٩) السابق ٢/ ٤٢١ (رقم ٧٢٦).

(١٠) السابق ٢/ ٤٣٢ (رقم ٧٤٠ : ترجمة عمر بن رسلان البُلْقيني).

(١١) السابق ٢/ ٤٨٢ (رقم ٨٠٧).

(١٢) السابق ٢/ ٥١٢ (رقم ٨٢٣).

(١٣) السابق ٢/ ٥٣٩ (رقم ٨٥٤)، ٥٤٢ (رقم ٨٦٠).

البخاري بحضور الأئمة كابن تيمية[1] - الشيخ الصوفي محمد بن الشيخ جمال الدين اليمني واستقدامه النُّسَّاخ لكتابة العلوم، وآخرين من أهل العلم لمقابلة ما يُنْسَخ وتصحيحه، ثم تجليد الكتب ووقفها على مكتبة مسجده الذي أنشأه، وبه ألف مجلد مع صرف الرواتب لهؤلاء جميعًا)[2] .

سادسًا وأخيرًا: مدى تفاعل المقريزي مع الأحداث ومواقف الشخصيات:

بعد القراءة المتأملة العميقة لكتاب (درر العقود) للمقريزي، لاحظت أن مؤرخنا لم يكن ذلك الرجل الذي يكتفي بالنقل عن الآخرين، سواء كانوا سابقين أم معاصرين، ولم يكن يكتفي برصد الواقع دون تعليق، لكنه من أولئك النفر من المؤرخين المتميزين ذوي الشخصيات الحاضرة، والتفاعل الإيجابي مع ما يترجم من شخصيات، وما يسوق من أحداث، وقد تنوعت وتعددت ملكاته الإبداعية من جوانب عدة، نستعرضها بنماذجها المختلفة على النحو الآتي:

١- التعليل: حاول المقريزي في عدد غير قليل من المواضع سبر أغوار الشخصية، أو الحدث الذي يعرضه، واستكناه بواطنه؛ لمعرفة ما وراء الظاهر من دوافع، أو التفسير ما يقع من تصرفات المترجمين وغيرهم. ويمكن تقسيم تعليلاته إلى قسمين:

أ- تعليلات جيدة مطولة نوعًا ما: ذكر المقريزي أن إبراهيم بن علي الشامي الواعظ امتُحن سنة ٧٨١هـ، وكان لمحنته سببان: أحدهما باطن، والآخر ظاهر. وبدأ بالسبب الباطن وعرضه عرضًا مطولاً، خلاصته: أن خلافًا كبيرًا وقع بين فقهاء الشافعية، وفقهاء العجم (الأحناف) بمصر حول قضية: هل في أموال اليتامى زكاة؟ وكانت أموالهم تُودَع عند القاضي في صندوق خاص عُرِفَ بـ (مُودَع الحُكْم)، وكان الشافعية يفتون - وقد غَصّ الصندوق بأموال اليتامى- بإخراج الزكاة منها كل عام؛ عونًا للفقراء، وأهل الستر، وطلاب العلم المعوزين. وحدثت مناظرة عارمة بين فقهاء المذهبين في مجلس الأمير الكبير برقوق، وانتهت إلى رأى الشافعية بعد مهاترات من

(١) درر العقود ٢/ ٥٥٠ (رقم ٨٦٥).

(٢) السابق ٣/ ٣٥٢ (رقم ١٢٨٩).

الجانبين. وقد ساء ذلك الأحناف، لاسيما وقد أشيع بين الناس أنهم سعوا إلى منع الزكاة. في هذه الأثناء قدم رجل من القدس بكتاب في (مناقب الإمام الشافعي)، وأعطاه للواعظ السالف ذكره، زاعمًا له أن قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة يطلب إليه قراءته في مواعظه على الناس. وقد أثار الكتاب حنق الأحناف الذين أنصتوا متربصين، لاسيما أن الكتاب به مدح للشافعية وقدح في الأحناف شديد. فلما علم قاضي قضاة الأحناف بمصر جلال الدين النيسابوري بذلك عَزّر الرجل المقدسي والواعظ المذكور وحبسه إلى أن أخرجه الشيخ سراج الدين البلقيني الشافعي، وأعاده إلى مواعظه ثانية[1] . ويلاحظ أن المقريزي لم يحدد السبب الظاهر للمحنة، لكن من الواضح أنه يتصل بكتاب الرجل المقدسي، فهو السبب المباشر، أما ما سبق ذلك من أحداث، فهو السبب غير المباشر، أو قل: هو سبب واحد له خلفيات وجذور من الخلاف والعداء، أدت إلى ما وقع بالمترجم من محنة.

* سرد المقريزي عددًا من المظالم التي حاقت بالرعية في دمشق، وما فُرض من أموال على القرى والمزارع بظاهرها، وتحويل القرى والمزارع كلها إلى إقطاعات للجند والأمراء، وأن يشمل ذلك جميع الأوقاف والأملاك. ثم شفع القضاة للناس لدى الأمير شيخ حتى صالحهم على حمل ألف وخمسمائة دينار تستخرج من الناس. وفي النهاية يجمل المقريزي النتيجة وأسبابها بقوله: واشتدت المصائب على الناس؛ لكثرة توالي المغارم، وغلاء الأسعار الفاحش، وتذبذب أسعار العملة، وتَتابع الفتن[2] .

* ذكر مؤرخنا عدة أسباب لسوء سيرة القاضي (محمد بن أحمد النابلسي الحنبلي)، منها: أنه داخل أصحاب تيمور لنك لما استولى على دمشق، ورحل معهم، وبدت منه أمور منكرة في حق الناس (لم يوضحها المقريزي)، فانتشرت أقاويل السوء في حقه، وفسَّقه بعض القضاة، ثم إنه سعى لعزل أحد القضاة حتى ولى قليلاً بعده، وخلال ولايته القصيرة حتى وفاته لم تحمد سيرته في القضاء، وباع عدة أوقاف بدمشق بطرق واهية[3] .

---

(١) درر العقود ١/ ١٠٧-١٠٩ (رقم ٣٦).

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٤٢ (رقم ٥١٥ ترجمة السلطان شيخ المحمودي).

(٣) السابق ٣/ ٣٢٤ (رقم ١٢٤٩).

* تعرض إسماعيل بن أبي بكر اليماني الشافعي لغضب الملك الناصر، حيث هدده بأخذ ماله ونفيه، ففر منه. والسبب أنه كان يتطلع إلى منصب القضاء، لاسيما كان مقربًا من الناصر. فلما ولّي الناصرُ أحمدَ الردّاد، أطلق إسماعيل لسانه بالوقيعة في الرداد، وكان من أكابر الصوفية، وشنّع عليه وعلى ابن عربي؛ إذ كان ينتحل طريقته، بل نظم إسماعيل في تكفير القاضي قصائد؛ مما تسبب في موقف الناصر السابق منه؛ إذ كان يعظّم الصوفية، ويميزهم على غيرهم[1].

ب- تعليلات سريعة: كقوله عن أحد المترجمين: عُرف بـ (الوجيزي)؛ لأنه حفظ كتاب (الوجيز) في الفقه على مذهب الإمام الشافعي[2]. وعلل إبعاد أحد المترجمين عن القاهرة، حيث كان يلي مشيخة سعيد السعداء، وتدريس الشيخونية، وأُرسل إلى القدس للتدريس في المدرسة الصلاحية، بأنه لم يبذل من المال ما طُلب منه[3] (لم يدفع الرشوة التي تحفظ له وظائفه). وأورد- باقتضاب- سر عزل أحد القضاة نفسه عن القضاء، بأنه لم يستطع دفع ما أوعز به إليه بعض الأمراء من الموافقة على أمر لم يكن معمولاً به آنذاك رغم أنه على مذهب أبي حنيفة، وهو أن يحكم له أن يستبدل بدار موقوفة دارًا أخرى أحسن منها[4]. وأخيرًا، علل تلقيب (علي بن محمد بن داود) بـ (الزَّمْزَمِي)؛ لأنه تولى أمر بئر زمزم[5].

ملاحظتان نقديتان:

أ- ثمة مواضع في كتاب (درر العقود) ذكر فيها المقريزي أحداثًا أغفل تعليلها، منها: أن الشيخ برهان الدين بن زُقّاعة كان مقربًا جدًا من السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٨٠١هـ / ١٣٨٢-١٣٩٩م)، لكن بعد وفاته لم يكن مقربًا من ابنه الناصر فرج (٨٠١-٨٠٨هـ/ ١٣٩٩-١٤٠٥م) كما كان مع أبيه، ولم يفسر لنا ذلك، وكذا لم يوضح لنا سبب تنكر وغضب المؤيد شيخ (٨١٥-٨٢٤هـ/ ١٤١٢-١٤٢١م) بعد

(١) درر العقود ١/ ٤٢١-٤٢٤ (رقم ٣٤٤).
(٢) السابق ١/ ١٧٣ (ترجمة رقم ١٠٣: أحمد بن محمد الوجيزي).
(٣) السابق ١/ ٢٢٠ (رقم ١٤٠).
(٤) السابق ١/ ٣٥١ (ترجمة رقم ٢٦٢: قاضي القضاة أحمد بن علي بن منصور الدمشقي الحنفي).
(٥) السابق ٢/ ٥٢٤ (رقم ٨٣٨).

ذلك على البرهـان، وإهانته إياه، لدرجة أنه لزم بيـته حـتى الوفاة[1] ! وكذلك لم يعلل اغتيال بعض الأقارب لـقاضي القضاة أحمد بن إسماعيل بن مـحمد الدمشقي الحنفي[2] . وأخيـرًا، يوضح لنا - في ترجمـة (سَفْرَى بنت عـمر بن عبـد العزيز) زوجة المقـريزي- أنه عقـد عليها وهي ابنة اثني عـشر عامًـا، وتزوجهـا بعد ذلك، فأنجبت له ابنه محمدًا وهي ابنة ستة عشـر عامًا، ثم طلقها بعدها بشهور، وقدر الله مراجعتها والزواج بها ثانية وهي ابنة ثمانية عشر عامًا، ومكثت معه عامين ثم توفيت وهي ابنة العشرين ربيعًا. هذا، وقد مدحها زوجها المقريزي بأنها كانت - رغم صغر سنها- من خـير نساء زمـانها عفـة وديانة، وثقة، وأمـانة، ورزانة، وأنه لم يُعَوَّض بعدها مثلها[3] . ومن العجيب حقًّا لامرأة هذه خـصالها أن يطلقهـا مؤرخنا هذه الفترة الطويلة نسبيًّا ولم يذكر سبب طلاقها، ولا سبب مـراجعتها. ربما كان ذلك لسبب شخـصي آثر الاحتفاظ به لنفسـه، ولعله كان قـرارًا طائشًا مندفعًـا أصر عليه معاندًا، ثم عاد إلى رشـده وصـوابه (وقـد كان يوم عقد عليها ابن ستة عشر عامًا). وعلى كل؛ فإنه يُحمد له ستر هذا الأمـر؛ فالكريم لا يُفْشِي سر أهله، والحصيف لا يفضح نفسه .

ب- قد يذكـر لنا المقريزي تعليلاً، لكني أراه غيـر موفق فيه. ومـثال ذلك: أنه أشار إلى بناء أحد العاملين بديوان تيـمور مسجدًا فخمًا بسمـرقند لسيده تيمورلنك، كان مـضرب المثل والإعجـاب من الجميع في الفـخامة والأناقـة، فكان جزاء الرجل جزاء سِنمّار، فبـدلاً من مكافأته صودرت أمواله، وأُمر بتقتيله بطريقـة بشعة، وقُتل أولاده وأهله. أما سبب ذلك، فيقول المقـريزي: لأن الملكة الكبرى زوجة تيمور بَنَتْ مدرسة تجـاه هذا الجامع، لكنها فاقـتْه ارتفاعًا. ويحلل المقريزي طـيش تيمور الدامي بأنه كان يـحمل طباع النمـر والأسد، فـلا يتكبر عليـه أحد إلا أتلفـه، فإنه لما رأى المدرسة تعلو الجامع غلبت عليه قوة الغضب، وسـرعة الانتقام وشدة البطش، فأوقع بذلك البائس الشقي ما سبق ذكره[4] . والحق أنني لا أجد في الواقعة تكبرًا من أحد

---

(١) درر العقود ١/ ٦٣ (رقم ١). توفى المترجم سنة ٨١٦هـ/ ١٤١٣م . (٢) السابق ١/ ٣٦٢ (رقم ٢٧٩).
(٣) السابق ٢/ ٩٨-٩٩ (رقم ٤٨٨). (٤) السابق ١/ ٥٥٤ - ٥٤٥ (رقم ٣٧٧).

على تيمور؛ إذ إن المدرسة أنشئت أولاً، ثم إنها منسوبة إلى زوجته، فلماذا لم يأمر بقتلها؟ والمسجد أتى على النحو الذي رآه تيمور بالهند، فلم يخالف بانيه المواصفات المحددة له، وتمسك به تيمور لذلك فلم يهدمه. إذًا دوافعه إلى ارتكاب ما ارتكب تتمثل في ظلمه الشديد، وبطشه وطغيانه الذي لا حدود له، واستهانته بدماء الآخرين إلى أبعد الحدود، وتغلغل أدواء الغدر والخيانة والجحود في نفسه، حتى إنه لا يُبقي إلى جواره ذا فضل مهما كان؛ إذ لا يُطيق أن يحظى غيره بأية مكانة بين الناس، ولو كانت مجرد نظرة إعجاب!.

٢- **التعليق والترجيح والاستدلال**: للمقريزي قدرة طيبة وملكة جيدة لإبداء رأيه، فيما يعرض له من أحداث وتراجم شخصيات، وله أسلوبه العف النزيه ونقده المتوازن غالبًا، ولديه - أيضًا - ما يرجح بين الروايات، وما يستدل به على صحة ما يراه في بعض الأحيان. ولنا عليه - مع هذا كله - ملاحظات نقدية فيما يأتي أو يَذَر من تعليقات وترجيحات واستدلالات على النحو التالي:

أ- للمقريزي تعليقات قدرية موجزة للغاية، ملؤها الرضا والتسليم لله (عز وجل): ومن أمثلة ذلك: تعليقه على انقراض دولة الأتراك وبني أُوَيْس من العراق بموت (حسين بن علاء الدولة آخر ملوك العراق من الأتراك) بقوله: «ولله عاقبة الأمور»[(١)]. وكذلك ما حَلّ بـ (سودون) من فواجع ومآسٍ فظيعة بعد وقوعه في قبضة تيمورلنك بعد غزو دمشق، حيث حُمل على الأيدي من شدة ما قاسى من التعذيب، حتى مات في محبسه جائعًا لا يجد كسرة خبز، فدفنوه في قيده من غير غسل ولا كفن، وهو الذي وجدتْ له آلاف الدنانير الذهبية في مصر والشام. هنا علّق المقريزي قائلاً: «فسبحان القادر على ما يشاء، الفَعَّال لما يريد لا إله إلا هو»[(٢)].

ب- يتسم قلم المقريزي بالعفة والنزاهة، والأمانة، فهو لا يضن على مترجميه بعبارات المدح والثناء التي يستحقونها، فها هو يصف أحدهم بأنه رقيق لين الجانب، متواضع، حَسَن الأخلاق، جميل المعاشرة، قَلّ أن ترى العيون مثله[(٣)]. وفي ترجمة

---

(١) درر العقود ٢/ ٢٦ (رقم ٤٠٨).
(٢) السابق ٢/ ١٠٢ (رقم ٤٩١).
(٣) السابق ١/ ٧٩-٨٠ (رقم ٢٣).

(أحمد شاه بن أحمد السلطان الهندي والفقيه الحنفي) أتى بسمات رائعة يتسم بها ذلك الرجل، تمثل خلاصة رأي المقريزي ورأي الناس فيه، فهو يقضي أيامه كلها في عبادة (نهاره تلاوة للقرآن، ونسخ للمصاحف، وتدارس للعلم مع طلابه. وفي الليل يقضي نصفه مع العلماء من خواصه، وينام ربعه التالي، ويصلي ربعه الأخير). ويلاحظ أنه لم يكن يهمل شئون مملكته ورعيته، بدليل الرخاء والسعة والخصب الذي تمتع به رعيته، حيث كان يتحدث مع أهل العلم وهم يتناولون طعامهم عند انشغال نهاره بمصالح مملكته. وقد أكد المقريزي صحة ما ذكره عن هذا السلطان العظيم فيما اشتهر عنه، وتحدث به جماعات من الناس، وإلا ما صُدّق هذا في ذلك الزمان[1] ، وفي ترجمة (تيمور) نلحظ انبهار المقريزي وإعجابه الشديد به؛ لقوة شخصيته، وعظيم سطوته، حيث حكم بلادًا شاسعة، وأجناسًا متباينة، لكنه مسيطر على كل الأمور، ورعيته يقفون عند أمره ونهيه[2] . لكنني ألمح تعليقًا غريبًا للمقريزي ذيّل به ترجمة (تيمور)، حيث ذكر أنه - بالجملة- كان ممن بعثه الله لتخريب البلاد، وإهلاك العباد؛ جزاء بما كسبت أيديهم، وما ربك بظلام للعبيد[3] . والحق أني أشم رائحة الإعجاب بفظائع تيمور بدعوى أن الله جعله سيفًا مسلطًا على رقاب الظالمين، فماذا يقول المقريزي عن الأبرياء الذين سفكت دماؤهم وخُربت ديارهم؟! لقد كنا ننتظر منه نقدًا واستهجانًا لأفاعيل تيمور القبيحة، لا تبريرًا لها. وبالإضافة إلى ذلك يؤخذ عليه مبالغته - أحيانًا - في مدح مترجميه كقوله عن أحدهم: «لم تُعْرَف له زلّة»[4]، وقوله عن آخر: «صارت محبته ديانة، ورؤيته عبادة»[5] .

جـ- لم تكن المبالغة هي السمة الغالبة على تعليقات المقريزي، فقد كان موضوعيًّا في تعليقاته، هادئًا لينًا في عباراته[6] ، متوازنًا في نقده، يذكر الإيجابيات

---

(١) درر العقود ١/ ٢٨٥ - ٢٨٦ (رقم ١٩٥) .
(٢) السابق ١/ ٥٤٤ (رقم ٣٧٧).
(٣) السابق ١/ ٥٥٩ (رقم ٣٧٧).
(٤) السابق ٢/ ٣٠٢ (رقم ٦١٤).
(٥) السابق ٢/ ٣٢٨ (رقم ٦٤١).
(٦) قال المقريزي في ختام إحدى التراجم: جاورنا سنين، عفا الله عنه». (السابق ١/ ١٣٢ رقم ٥٦). وهي عبارة مهذبة تفيد عدم رضا المقريزي عنه. وفي نهاية ترجمة (عمر بن حجّي قاضي القضاة بدمشق، وكاتب السر بمصر) قال- بعد أن ذكر مآخذ عليه - : «تجاوز الله عنه، وخفف حسابه» . (السابق ٢/ ٥٦٢ رقم ٨٨١).

والسلبيات[1] ، مبتعداً عن التحيز والهوى، مؤثراً الحيدة والنزاهة قدر الإمكان[2]، لكن يبدو أن طبيعة المقريزي اللينة قد غلبت عليه أحياناً، فظهر تعليقه ونقده لبعض الظواهر الخطرة أقل بكثير من القوة التي يجب أن يؤدي بها[3] .

د- استند المقريزي في نقده التاريخي إلى السند والمتن معاً؛ ولذلك فإنه نُقلت إليه رواية تفيد أن تيمورلنك أنشد شعراً بالعربية، فوقف الرجل متحيراً؛ لأن الذي أخبره الخبر وهو ابن المغربي ثقة لا يتهمه، وقد صحبه بدمشق مدة، ووقع في أسر تيمورلنك فترة. وقد روي ذلك عن عبد الجبار بن نعمان بن ثابت الفقيه الحنفي

---

(١) مثال ذلك: ما ذكره عن والد شاه شجاع بن محمد اليزدي ملك فارس، وعراق العجم، وأذربيجان حيث قال عن إيجابياته: أكثر من تلاوة القرآن، ونشر العدل في بلاده، وعُرف بالعفة، لكنه في المقابل يوصم بسلبيات كالبخل والغدر، وشدة السطوة، فكرهه الناس حتى أولاده (درر العقود ٢/ ١٧٧ رقم ٥٠٩).

(٢) خير مثال على ذلك : ما قاله في ترجمة (عمر بن إبراهيم بن محمد الحلبي الحنفي قاضي القضاة)، حيث وصفه بأنه كان من شر قضاة مصر حمقاً ورقاعة، وجراءة وإقداماً، وحِدّة. وقد أتلف أوقاف مصر والقاهرة باستبدالها؛ تقرباً لرجال الدولة وبطانتهم. ثم وصفه وصفاً قبيحاً مجملاً قائلاً: لم يكن من الله في شيء، بل هو رجل من رجال الدنيا، ثم يُثني المقريزي بعد كل هذه الصفات السيئة والنقد الصارخ اللاذع، فيبين أن الرجل كان يحترمه، ويقضي له حوائجه، وبينهما صحبة أكيدة، ولا يَرُدّ له قولاً، لكن هذا لم يمنع المقريزي من النطق بالحق؛ لأن الحق أحق أن يُتبع. (السابق ٢/ ٤٢٩ رقم ٧٣٨).

(٣) في ترجمة : (نعمة الله بن عبد الله بن محمد الكِرْمَاني) ذكر المقريزي اتباعه طريق التصوف، لكن نقل عن أتباعه أنهم كان يَخِرُّون إلى الأرض واضعين جباههم عليها عند رؤيته، وإذا تكلم نكّسوا رءوسهم. ولا شك أن هذا شرك بالله (عز وجل)، وبُعد عن العقيدة الصحيحة التي لا تقدس إلا الله وحده، وكنا ننتظر رداً ونقداً شديداً على مستوى الجهل والجرم المرتكب، لكننا رأينا نقداً هيناً ليناً تمثل في قول المقريزي: «ولأهل الهند فيه اعتقاد عظيم، غير أن أتباعه يجهرون بما لا يحمله أهل الشرائع» (السابق ٣/ ٥٠٨ رقم ١٤٢٣). ومن عجب أن المقريزي الذي بالغ في تخريج أحد الأحاديث النبوية الصحيحة المشهورة المعروفة عبر صفحات عديدة (السابق ٣/ ١١٣-١١٥ رقم ٩٩٩) ، إذا به يتوانى في الرد على رواية مكذوبة، بل يوقع القارئ في غموض ولَبْس، حين زعم في رواية مسندة إسناداً ملفقاً أن ملائكة العذاب أتت لتأخذ تيمورلنك وهو في لحظات الموت، فدافع عنه الرسول؛ لأن تيمورلنك كان يحب ذريته، ويحسن إليهم! ويعلق المقريزي تعليقه المتهافت مصدّراً إياه بقوله: قال كاتبه أحمد بن علي المقريزي: لهذا الخبر عندي شواهد، ذكرتها في زء تضمن معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على مَنْ عداهم (السابق ٣/ ٤١٥ -٤١٦ رقم ١٣٥٨). ولا أرى وجهاً لاعتذار المحقق عن المقريزي في (السابق (٣/ ٤١٦ هامش ١) بأن مراده من ذكر هذه الرواية احترام آل البيت، لا تبرئة تيمور الطاغية السفاح؛ لأن آل البيت لا نبرز مكانتهم عن طريق روايات ملفقة مكذوبة تنسب إلى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً عن طريق أمراء تيمور، ولا نُلَمّح بوجود شواهد أخرى لها (روايات تقويها) .

المعتزلي العقيدة، ذي الصلة بتيمورلنك. وفي الوقت ذاته لديه معلومة مؤكدة عن طريق ابن خلدون شيخ المقريزي أن تيمورلنك لا يعرف العربية. ومن هنا شك المقريزي في أحد الراويين السابقين[1] . وفي رأيي أن الآفة من عبد الجبار، أو أن الرواية صحيحة تأويلاً كأن تكون الأبيات عُربت عن الفارسية مثلاً.

بناء على ما تقدم يمكن الاطمئنان إلى ما وجّهه المقريزي من نقد لاذع لبعض المترجمين[2] ، حيث كان يتكئ على معلومات دقيقة، وكان يصدر أحكامه وآراءه فيما يتعلق بشخصيات معاصرة له[3] مع التدليل على صحة ما يقوله أحيانًا بطرق وأساليب متعددة[4] ، لعل الجديد منها استشهاده بالشعر المعبِّر عن رأيه في بعض المترجمين[5] .

---

(١) درر العقود ٣/ ١٣٧-١٣٨ (رقم ١٠٢٦).

(٢) راجع - مثلاً - السابق ١/ ١٣٦ (رقم ٦٠) ، ١٦٨ - ١٦٩ (رقم ٩٩) قال عنه المقريزي: رافقتُه في مباشرة وقف الصالح، فكان من أقبح ما رأيتُ سيرة، وأسوأ ما عرفت سريرة).

(٣) مثل قوله عن الظاهر برقوق: كان لا يتحمل معارضة فيما يريد، لكنه لا يُبدي ذلك، ويتربص بمن عارضه الدوائر (السابق ١/ ١٦٤ رقم ٩٦).

(٤) مثال ذلك: إتيانه بأدلة من كتب ابن دقماق تؤكد اتهامه له بالغفلة حيث ينقل من مجاميع مستعارة عن المقريزي بنص كلام المقريزي (أخبرني من لا أتهم) ، فيوهم القارئ أنه هو الراوي الحقيقي لا المقريزي، ويمتد الوهم أكثر وأكثر بنقل ابن الفرات عن ابن دقماق، وهكذا . (السابق ١/ ١٠٢-١٠٣ (رقم ٣٤). وأحيانًا يدلل المقريزي على صحة الرواية بأمر مجرَّب شاهده هو، فقد روى أن من المجرب في بغداد أن من قطع نخلة، أصيب من عامه في نفسه، أو لحقته مصيبة عظيمة. قال كاتبه (المقريزي): كان بحذاء داري بالقاهرة دار بها نخلة اشتراها رجل وقطع النخلة، فاحترقت داره بالكامل بعد شهر من ذلك . (السابق ١/ ١٩٢ رقم ١٢١). وكذلك روايته أكثر من رواية لأشخاص مختلفين مجمعين على كرم المترجم وفيض إحسانه (السابق ١/ ١٤٧ - ١٤٨ رقم ٨٦).

(٥) كقوله في نهاية ترجمة الوزير الشهير ابن غراب:

فتى كان فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

(السابق ١/ ١٠٠ رقم ٣٢).

وكذلك ما ساقه من شعر ابن الوردي في أحد قضاة السوء الذي ترجم له المقريزي، قال:

قاضٍ عن الناس غير راض ... مباهتٌ غالط مخالط

يكذب عن مالك كثيرًا ... ويُسقط الناس وهو ساقط

(السابق ١/ ٣٥٠ رقم ٢٦١).

أما بخصوص مدى قدرة المقريزي على الترجيح بين الروايات، فقد اكتفى مؤرخنا بنقل ترجيح أحد الرواة بخصوص عدد الرءوس التي قطعها تيمورلنك لما استولى على بغداد[1] . ويبدو أن المقريزي لم يكن يعني بذلك الأمر، حيث أورد لنا في موضع آخر أكثر من رواية حول إسلام الملك بركة أحد ملوك التتار، ولم يقم بالترجيح بينها[2] .

ملاحظات نقدية:

* أدرك المقريزي الغرض التعليمي التربوي الإصلاحي للتاريخ، فحرص في كتاب (درر العقود) على إيراد عدد من الروايات[3] ، والأشعار ذات الطابع الحِكْمي الوعظي الزهدي[4] ، التي تفيد القارئ، ويعود نفعها على المجتمع، لكنه يؤخذ عليه- في المقابل- أنه كان يورد بعض الروايات التي تصادم هذا الغرض المهم من أغراض التاريخ، فيورد لنا أرقامًا خيالية ومقادير من الأطعمة والغلال واللحوم كان يمتلكها الظاهر برقوق سلطان المماليك ويستهلكها قصره، إلى غير ذلك من الأموال الطائلة التي خلّفها في تركته[5] دون أدنى تعليق من مؤرخنا المقريزي، وكذلك أتى بأوصاف لا تكاد تُصَدَّق تتعلق بمقبرة ثري من أثرياء التجار[6] دون تعليق ما على هذا الترف والسفه الذي لا نظير له، وكذلك توسعه - أحيانًا- في ذكر ما يشيع من معتقدات اجتماعية خاطئة[7] دون أن ينبه على دخولها تحت الخرافات والأباطيل.

---

(١) درر العقود ٢/ ٢٩٧ (رقم ٦١٢).

(٢) السابق ١/ ٤٩٦ (رقم ٣٧٦).

(٣) تأخر وفاة الأنباسي المريض دهرًا عن السبكي الصحيح الذي كان يسعى لتولي وظائفه بعد موته، فإذا به تتأخر وفاته ما يزيد على ثمانية وعشرين عامًا . (السابق ١/ ٢٥٤ -٢٥٥ رقم ١٦٢). أخرج المؤيد شيخ أولاد الناصر فرج ونفاهم إلى الإسكندرية، فقيض الله من بعده برسباي، فأخرج أولاد المؤيد أيضًا إلى الإسكندرية. (السابق ١/ ٣٢٨ رقم ٢٣٥).

(٤) راجع الأشعار الواردة في (السابق) ٢/ ١٤ (رقم ٤٠٢) ، ٣/ ١٥ (رقم ٨٩٩)، ٧١ - ٧٢ (رقم ٩٤٨) ، وغيرها .

(٥) السابق ١/ ١٠٠ (رقم ٣٢).

(٦) أنشأ ذلك التاجر مقبرة تحاكي القصور، أنفق عليها مبلغًا عظيمًا، وبها طاحون يطحن القمح يُدار بالهواء (السابق ٢/ ٤٦٧ رقم ٧٨٦).

(٧) راجع: السابق ١/ ٣٩٦ (رقم ٣١٩).

وأما الأشعار، فقد امتلأ بها كتابه، لكنها لم تكن مقصورة على التأريخ للأحداث، أو نشر الفضيلةبين الناس، فقد أورد أشعارًا فيها ألفاظ فاحشة[1] ، وأخرى ساقطة لا جدوى منها[2]، وبعضها يدخل في باب الغزل المُفْرِط[3]، إلى جانب ركاكة ألفاظ بعض الأشعار مما يدخلها في باب الزجل الركيك الضعيف، الذي لا غناء فيه[4] .

* أورد مؤرخنا المقريزي روايات كثيرة في ثنايا تراجم كتابه الضخم يمكن أن بعنوان لها بـ (**مظاهر الانحراف الاجتماعي**)، وهي تتصل بالعامة والخاصة على سواء، والصوفية والسلاطين، خاصة ما يتصل بالموالد والأولياء، والاحتفالات، والكرامات. ويمكن القول: إن الغالب الأعم من تلك المظاهر متصل بمصر المملوكية، ولم يكن للمقريزي كمؤرخ كبير دور واضح في تفنيد الانحرافات والتنديد بها، بل كان من المدافعين عن بعض الكرامات[5] ، حريصًا على إيراد كل رواية عجيبة خارقة[6] . وباستثناء مرات محدودة كان لمؤرخنا فيها موقف متوازن، ونقد لمبالغة الناس في الاعتقاد في أشخاص مدعي التصوف والولاية[7] ، وباستثناء بعض روايات نادرة تعطينا نماذج جيدة لبعض الصوفية[8] ، فإن معظم الروايات غاية في السوء والجهالة؛ فهذا صوفي لم ينم منذ أربعين يومًا[9] ، وهذا مجذوب عاري البدن بادي العورة يعتقد العوام والأمراء والسلاطين في بركته[10] ، فيزداد هؤلاء المجاذيب

---

(١) درر العقود ٢/٣٤٨ (رقم ٧٤١).

(٢) السابق ٣ / ١٩٩ (رقم ١١٠٧).

(٣) السابق ٣/ ١٤٠- ١٤٣ (رقم ١٠٢٨).

(٤) السابق ٢ / ٣٥٥ (رقم ٦٨٤) ، ٤٧١ (رقم ٧٩٠).

(٥) السابق ٣ /٥٢٦ - ٥٢٧ (رقم ١٤٣٧).

(٦) السابق ٣/٥٩-٦٠ (رقم ٩٣٤)، ١٣٤ (رقم ١٠٢٢ : جِنِّي يعلم الغيب).

(٧) السابق ١/٤١٣ - ٤١٤ (رقم ٣٣٩) ٢/٢٢٩ (رقم ٥٥٨): للناس فيهم اعتقاد يخرجون فيه عن الحد، ولهم أتباع كثيرون، ومآثر جمة، وفضائل عديدة).

(٨) السابق ١/ ٣٤٠ - ٣٤٢ (رقم ٢٤٧) (مؤلفات جيدة وكلمات بديعة)، ٣/٥٠٦-٥٠٧ (رقم ١٤٢١) : يجيد ثلاث لغات: العربية، والفارسية، والتركية،وله مؤلفات وشروح بعضها مبتكر، والآخر في التصوف والكلام، ويأبى منصب كاتب السر مرتين).

(٩) السابق ٣/ ٩٤-٩٥ (رقم ٩٨١)

(١٠) السابق ٢/ ٤٧ (رقم ٤٢٨).

خداعًا للمماليك[1] ، وهذا قطب من أقطاب الصوفية - كما يزعمون - يبول في المسجد أثناء خطبة الجمعة وهو جالس جهارًا نهارًا على رءوس الأشهاد، ثم لم يقم للصلاة، ولا معترض ولا منكر عليه فعلته النكراء[2] .

* عرض المقريزي روايات عديدة عن (**الظلم الاجتماعي والاقتصادي في عصره**)، وكانت له بعض تعليقات مقارنة[3] ، لكن الطابع العام كان وصفًا لمظاهر الإسراف والمغالاة[4] ، والفساد الاقتصادي والأخلاقي[5] ، وشيوع المصادرات والعقوبات والتعذيب على الرجال والنساء، بل كان ذلك مما يُتقرب به إلى بعض السلاطين لنيل الحُظْوَة والرضا والقبول[6] .

* رصد مؤرخنا المقريزي في كتابه تفشى ظاهرة دفع الرَّشاوَى؛ لقضاء المصالح- خاصة تولي المناصب- وبهذا يتم إحقاق باطل، وإبطال حق، ويوسد الأمر إلى غير أهله، وكفى به فسادًا وإثمًا مبينًا[7] . فهذا يدفع رشوة ليتولى منصب التدريس[8] ، وذاك يريد الوصول إلى منصب القضاء، ويدفعه إلى السلطان والكبراء

---

(١) درر العقود ٣/ ٣٧٢ (رقم ١٣٢٣ : خداع بعض السلاطين بادعاء المكاشفة).

(٢) السابق ٣/ ٧٧ (رقم ٩٥٤) يمكن مراجعة المزيد من التفاصيل عن (الأمراض الاجتماعية في عصر المماليك) في كتاب: (المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك)، دار النهضة العربية ١٩٦٢م، للدكتور سعيد عاشور، ص ٢٣٤-٢٣٩.

(٣) درر العقود ٢/ ٩٨ (رقم ٤٨٧ : مقارنة الأوضاع الاقتصادية خاصة الأسعار المرتفعة سنة ٨١٦هـ زمن المقريزي برخصها زمن الحسن بن محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٦٠هـ).

(٤) المصدر السابق ٢/ ١٩١ (رقم ٥٢٠): تكاليف الاحتفال بمولود السلطان صالح بن محمد بن قلاوون قبل مولده بشهرين، وبعد مولده بأسبوع بلغت ٥٠٠ ألف دينار مصرية. واكتفى المقريزي بقوله: ولم يُسمع بمثل ذلك في الدولة التركية).

(٥) السابق ٢/ ٣٠٦ (رقم ٦١٦).

(٦) السابق ٢/ ٥٣٣ (رقم ٨٤٨) ، ٣/ ٤٧٤-٤٧٥ (رقم ١٤٠٥).

(٧) راجع تفاصيل الرشاوي في مصر المملوكية في كتاب (البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك) : دراسة عن الرشوة، للدكتور أحمد عبد الرازق، ط.. الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م ص ٢٣-٤١، ٩٥ - ١٢٩.

(٨) درر العقود ٣/ ٢٣٠ (رقم ١١٤٢).

سواء بسواء[1]، وذاك يقدمها طواعية لنيل منصب الحسبة[2] ، وذاك فقد منصبه فيسعى بالأموال لاستعادته ثانية[3] ، وذاك استدان للوصول إلى بغيته، ثم ثار عليه الدائنون وشكوه، فأخذ يسأل الناس لسداد ما عليه، ثم سُجن. ثم أُفرج عنه لعجزه عن السداد، فلزم داره خاملاً مقلاً حتى الوفاة[4] ! والمقريزي مجرد راصد ومسجل لذلك كله دون أن يكون له حضور المؤرخ الناقد الموجه .

٣- الشرح والتوضيح :

حرص مؤرخنا المقريزي في عديد من المواضع على توفر عنصر الوضوح فيما يكتب، وقد تنوعت شروحه وتوضيحاته في كتابه، فيشرح قصد العوام فيما اشتهر بينهم من عبارات يسخرون بها من بعض الحكام[5] . وكذلك يوضح أمرًا مهمًّا أُشير إليه في رواية مسندة لابن تيمية[6] ، وقد يوضح المقصود ببعض الأشعار الواردة في الترجمة[7] . وأحيانًا يعرّف ببعض القبائل[8] ، ويفسر بعض الألفاظ التركية والفارسية[9] ، وينبه إلى شيء مهم في نسب أحد المترجمين[10]. ويهتم - أحيانًا- بضبط الأسماء بالحروف، ويضبط بعض البلدان ويعرّف بها جغرافيًّا[11]، وقد يجمع

---

(١) درر العقود ٣/ ٤٢ (رقم ٩١٩) ، ٤٩ (رقم ٩٢٣). أما رشوة السلطان فتراجع في ٢/ ٣٠٥ (رقم ٦١٦).

(٢) السابق ٣/ ٧٥ (رقم ٩٥٣).

(٣) السابق ٢/ ١٤٥، ١٥٧ (رقم ٥١٥).

(٤) السابق ٣/ ١٥٦ (رقم ١٠٤٣).

(٥) قال العوام: سلطاننا ركن، ونائبنا دُقين، الماء يجيء من أين، أخرجوا لنا الأعرج يجي الماء يدَّحرج». يريدون: السلطان ركين الدين بيبرس الجاشنكير، ونائبه الأمير سَلار وكان شعر ذقنه قليل، والأعرج الناصر محمد بن قلاوون، وكان خُلع من المُلْك، وأرسل إلى الكَرَك (السابق ١/ ١٠٣ رقم ٣٤).

(٦) بعد رواية ابن تيمية عن منارة دمشق التي ينزل عليها عيسى بن مريم وبيان أنها احترقت بعد موت ابن تيمية، وأعيدت وبيضت؛ قال كاتبه المقريزي: هي باقية إلى اليوم لم تحترق عند حريق الجامع في هجوم تيمورلنك سنة ٨٠٣هـ على دمشق وتحريقها. (درر العقود ١/ ١٥٠-١٥١ (رقم ٨٧).

(٧) المصدر السابق ١/ ٢٢٥ (رقم ١٥١).

(٨) السابق ١/ ٢٤٦ (رقم ١٥٨) .

(٩) السابق ١/ ٢٤٧ (رقم ١٥٩)، ٤٣٣ (رقم ٣٥٣).

(١٠) ذكر أن الزبيري الواردة في النسب نِسبة إلى محلة الزبير من قرى الغربية؛ لا إلى الزبير بن العوام. (السابق ٢/ ٣٨١ رقم ٧١٧).

(١١) السابق ١/ ١٦٦ (رقم ٩٦).

اللغة إلى جانب الجغرافية، فيعرف بالشيء تعريفًا لغويًّا جغرافيًّا[1] ، وقد يصف بعض الجبال وصفًا طبوغرافيًّا دقيقًا[2] .

ويؤخذ على مؤرخنا وقوعه في بعض الهنات، كإغفال التعريفات الجغرافية ببعض الأماكن المذكورة في تراجمه[3] ، أو وجود غموض في بعض الأحداث[4] ، أو ذكر الشيء غفلاً من نتيجته المترتبة عليه[5] .

***

خلاصة البحث

١- بدأ البحث بتقديم سريع عن المقريزي، وحياته، ومؤلفاته، ومناصبه .

٢- تمت دراسة كتاب (درر العقود) للمقريزي دراسة تحليلية نقدية في إطار زمني للتراجم يمتد تقريبًا من سنة ٧٦٠هـ إلى ٨٤٤هـ [6] ، وقد وضع المقريزي للكتاب مقدمة منهجية واضحة، بينما خلا من الخاتمة كعادة كتب التراجم والطبقات غالبًا. وأعتقد أن الكتاب غطّى - عبر مجلداته الثلاثة- جانبًا كبيرًا من تراجم المعاصرين لمؤلفه، أولئك الذين شكلوا النسبة الغالبة فيه .

٣- تمت دراسة عنوان الكتاب، ومحتواه، وبيان التقسيم العام له، مع إبداء عدد من الملاحظات عليه من حيث ترتيبه، وحجم تراجم النساء فيه، وتنوع بلدان المترجمين، وثقافتهم، ومناصبهم، ومدى معاصرتهم للمؤلف.

---

(١) درر العقود ١/ ٥٨٩ (رقم ٣٨٧).

(٢) السابق ٢/ ٥٤٨ (رقم ٨٦١).

(٣) السابق ١/ ٨٧ (رقم ٣١)، ٢٦٣ (رقم ١٧٠).

(٤) قال المقريزي عن المترجم: وأقلع قبل موته وتاب، ورجع إلى الله وأناب (السابق ١/ ٢١٠ رقم ١٢٨). ولا أدري عن أي شيء تاب؟!.

(٥) زعم حفظ الحديث، ثم ظهر خطؤه في كل ما زعم، وعجز عن بعض ما ادعى. (السابق ٣/ ٤٦٢ رقم ١٣٩٤). ولم يذكر لنا ما ترتب على كذبه في ادعاء حفظ الحديث الشريف، لاسيما وقد اجتمع مع العلماء في مجلس علم السلطان المؤيد بالقاهرة .

(٦) راجع ترجمة (أحمد بن إسماعيل بن عثمان الشهرزوي الشافعي) في (السابق ١/ ٢٥٩- ٢٦٠ رقم ١٦٦).

٤- البناء التاريخي: وفيه حددت عناصر الترجمة، وتفاوت أحجامها طولاً وقصراً، وأسبابه، ومدى الترابط بين جزئيات بعض التراجم، وحسن العرض، ودقة التقسيم، واستخدام المنهج الحولي - أحيانًا- لضبط إيقاع الأحداث المطولة، ولغة وأسلوب المقريزي، وملاحظاتنا على ما تقدم .

٥- موارد الكتاب: الشفهية والمكتوبة، والمشاهدة، والتواتر، والشهرة، والتعريب. وقد قمت بدراسة نقدية تحليلية موثقة لكل هذه الأنواع المتقدمة من الموارد، وذيلت عليها بملاحظتين تتصلان بالموارد المجهولة، والروايات التي لا مورد لها، ومحاولة تفسير ذلك.

٦- الدقة والربط بين التراجم: ركزت على دراسة (التوقيت)، ومنهج المقريزي في استخدامه وإيراده في رواياته، وحاولت تفسير خلو بعض التراجم من التوقيت، وإغفال المقريزي - أحيانًا- تاريخ الوفاة. وبينت أن الربط الموضوعي بين التراجم كان هدفه الأول منع التكرار، وكان المقريزي فيه دقيقًا بدرجة كبيرة، كما أنه أحال على مواضع موجودة في مؤلفات أخرى له، كما لوحظ وجود تكرار معيب في بعض التراجم؛ نتيجة عدم تمكنه من المراجعة .

٧- الاهتمام بإبراز الجوانب الحضارية: سياسية، وإدارية، واقتصادية، واجتماعية، وثقافية .

٨- أنهيت البحث بدراسة مطولة عن مدى تفاعل المقريزي مع الأحداث، ومواقف الشخصيات، وتحت هذا العنوان الكبير درستُ مدى قدرته على تعليل الأحداث، وحاولت تفسير إغفاله التعليل أحيانًا، ثم درست موقفه من التعليق عليها، والترجيح بين الروايات، والاستدلال على ما يريد إثباته من الحقائق، وختمت بملاحظات نقدية تاريخية مركزة عن موقف المقريزي من الروايات الوعظية، والروايات التي تتناول مظاهر الانحراف الاجتماعي، والظلم الاقتصادي والاجتماعي في عصره، وتفشي ظاهرة الرشاوي. وأخيراً أثبت قدرته الكبيرة على الشرح والتوضيح للجوانب التي تحتاج إلى ذلك.

٩- ولا شك أن كتاب (درر العقود) من كتب التراجم المميزة الحافلة بالمادة العلمية الجيدة والجديدة، التي تناولت المعاصرين للمؤلف في الأغلب الأعم، وألقت الضوء على شخصيات كثيرة إسلامية وغير إسلامية، وكشفت النقاب عن الجدل الذي طال حول سطو المقريزي على كتاب (الأوحدي) ممثلاً فيما كتب عن (الخطط)، وكيف نقده المقريزي مؤرخًا، وأعلن - بصراحة- استفادته واقتباسه بعض ما يحتاجه في (الخطط)[١] . فلا غرو أن يعتمد عليه المؤرخون الكبار الثقات سواء أعلنوا ذلك أم لم يشيروا إليه صراحة، من أمثال: ابن حجر العسقلاني[٢] ، وابن تغري بردي[٣]، والسخاوي[٤] .

***

(١) الدرر ١/ ١٨٥ - ١٩٠ (رقم ١٢٠)، حيث جاءت وافية عن نظيرتها في (المقفى) ١/ ٥١٣ .

(٢) أشار إلى المقريزي في مقدمة كتابه (إنباء الغمر جـ١ ص٤) كأحد المؤرخين الذين اعتمد عليهم في كتابه المذكور في التراجم، وإن لم يذكر (درر العقود) صراحة.

(٣) ذكر د. الجليلي في (جـ٤- الملاحق ص ٣٢) أن ابن تغري بردي نقل عن (درر العقود الفريدة) في مواضع كثيرة في (النجوم الزاهرة)، في ترجمة (الناصر بن فرج بن برقوق)، و(المؤيد شيخ)، والسلطان ططر. والحق أن الرجل لم يذكر (الدرر) صراحة، كما أن ترجمة (فرج بن برقوق) في (الدرر) ٣/ ١٧ رقم ٩٠٠ سطحية وهزيلة للغاية، كما أن ترجمة (المؤيد) ٢/ ١٢٥-١٨٨ رقم ٥١٥ - على طولها - في (الدرر) بها نقص في نهايتها تمثل في الفترة التي صار فيها شيخ سلطانًا، وليس للسلطان ططر ترجمة في (الدرر). ومن ثم، فالنقل عن (السلوك) لا (درر العقود). وإن كان هذا لا يمنع وجود تشابه في المعلومات الواردة عن (المؤيد شيخ) يمكن أن يكون ابن تغري بردي نقلها عنه دون تصريح بذلك.

(٤) نقل السخاوي كثيرًا عن (الدرر) وصرح بذلك كما في (الضوء اللامع) ٤/ ٤٠ (رقم ١٢٤)، ٨٣ (رقم ٢٣٥)، ١٨٢ (رقم ٤٥٨)، ٢٢٤ (رقم ٥٧٠)، ١٢/ ١٠١ (رقم ٦٣٣)، ١٠٦ (رقم ٦٦٦)، ١١٨ (رقم ٧١٦)، وغير ذلك كثير .

قوائم المصادر والمراجع(*)

- القرآن الكريم .

أولاً: المصادر:

* الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن بن محمد عبد الله بن إدريس الحَمُّودي الحَسَنيّ ت٥٦٠هـ / ١١٦٤-١١٦٥م):

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. الطبعة الأولى - عالم الكتب - بيروت ١٩٨٩م.

* ابن تَغْرِي بَرْدِي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م):

- حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور. الجزء الأول، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي) القاهرة ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: فهيم محمد شلتوت.

- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي. الجزء الأول. طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م. حققه، ووضع حواشيه: أ.د. محمد محمد أمين، وتقديم: أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م. قدم له، وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين .

* ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م):

- إنباء الغُمْر بأنباء العُمْر. طبعة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (لجنة إحياء التراث الإسلامي) القاهرة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. تحقيق: أ.د. حسن حبشي.

- المجمع المؤسَّس للمعجم المفهرس. الطبعة الأولى- مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م. تحقيق: محمد شكّور أمرير الميادني .

(*) روعي البدء بالقرآن الكريم، ثم المصادر حسب لقب المؤلف، أو اسمه الأشهر، مرتبة ترتيبًا هجائيًا، مع عدم اعتبار الزوائد، مثل: ابن ، وال، وغيرهما. ثم أوردت المراجع مرتبة هجائيًا أيضًا حسب الاسم الأول، فالثاني، وهكذا. وعند تعدد مؤلفات المؤلف الواحد، ذكرت المؤلفات حسب الترتيب الهجائي لعناوينها .

* ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م):

- جمهرة أنساب العرب. سلسلة ذخائر العرب (رقم ٢)، الطبعة الخامسة، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٢م. تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون.

* الحسيني (أبوالمحاسن محمد بن علي بن الحسن الدمشقي ت ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤):

- ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي. طبعة : دار الفكر العربي، د. ت. تحقيق: حسام الدين القدسي .

* ابن خَلِّكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م):

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار صادر بيروت، د.ت. حققه: أ.د. إحسان عباس.

* ابن دُقْماق (إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م):

- الانتصار لواسطة عِقْد الأمصار. منشورات دار الآفاق الجديدة- بيروت، د.ت. تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق .

* السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م):

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. الناشر: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.

* السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ/ ١٠٠٥م):

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. الطبعة الأولى - مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم.

- نَظْم العِقْيان في أعيان الأعيان. المطبعة السورية الأمريكية في نيويورك ١٩٢٧م. حرره: د. فيليب حِتِّي.

* الشَّوْكَاني (محمد بن علي ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤م):

- البدر الطالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السابع. الطبعة الأولى- دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م . وضع حواشيه: خليل المنصور .

* الصَّفَدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤هـ/ ١٢٦٣م):

- الوافي بالوفيات . الجزء الثاني والعشرون، الطبعة الثانية، طبع دار صادر- بيروت. دار النشر: فرانز شتاينر - شتوتجارت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. طبع باعتناء: رمزي بعلبكي .

* الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت ٣١٠هـ / ٩٢٣م):

- تاريخ الرسل والملوك. الطبعة الخامسة ، دار المعارف بالقاهرة ١٩٨٧م. تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم .

* الفيروزابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م):

- القاموس المحيط . طبعة مصورة عن الطبعة الثالثة للطبعة الأميرية. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٠١هـ.

* ابن قاضي شهبة (تقي الدين أبو بكر بن أحمد الدمشقي ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م):

- تاريخ ابن قاضي شهبة . المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٤م. حققه: عدنان درويش .

* القَلْقَشَنْدِي (أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية. نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

* ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م):

- البداية والنهاية . الطبعة الأولى - دار الريان للتراث ١٩٨٨م . دقق أصوله، وحققه: د. أحمد أبو ملحم، وآخرون .

* لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني ت٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة. الطبعة الأولى، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. حقق نصوصه، ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبدالله عنان.

* المقريزي (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

- الخطط المعروف بـ (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار). نشر: مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، د.ت .

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. الطبعة الأولى في ثلاثة مجلدات، دار الغرب الإسلامي- بيروت ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م. حققه، وعلق عليه: د. محمود الجليلي.

- وصدرت طبعة أخرى ناقصة بعنوان: (المقريزي وكتابه درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة)، في مجلدين اثنين عن عالم الكتب- بيروت ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م. دراسة وتحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين.

- السلوك لمعرفة دول الملوك. مركز تحقيق التراث بدار الكتب بالقاهرة ١٩٥٦م- ١٩٧٠م. تحقيق: أ.د. محمد مصطفى زيادة (جـ١ ، جـ٢)، وأ.د. سعيد عاشور (جـ٣، جـ٤).

- المُقَفَّى الكبير. الطبعة الأولى- دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤١١هـ/ ١٩٩١م. تحقيق: محمد اليعلاوي.

* ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم المصري ت ٧١١هـ/ ١٣١١م):

- لسان العرب. طبعة دار المعارف بالقاهرة، د.ت. تحقيق: نخبة من العاملين بدار المعارف .

* ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م):

- معجم البلدان. الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية- بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي.

***

ثانياً وأخيراً: المراجع:

* أ.د. أحمد عبد الرازق أحمد: البَذْل والبَرْطَلَة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة). طبعة: الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٩م.

* أ.د. حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس. الطبعة الثانية بعناية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ١٩٨٦م.

* أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك. دار الفتح للطباعة. الناشر: دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٢م.

* أ.د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون. الطبعة الأولى- دار العلم للملايين- بيروت ١٩٩٠م.

* عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين: تراجم مُصنِّفي الكتب العربية. الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة- بيروت ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

* مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط. الطبعة الثالثة، مطابع الأوفست بشركة الإعلانات الشرقية ١٩٨٥م.

* محمد عبد الله عنان: مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصري. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

* محمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. طبعة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

* أ.د. محمد مصطفى زيادة: المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي (القرن التاسع الهجري). مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٩م.

***